سميره الشرباني

إليك

يا صديقتي التي كنت زهره
هداني وجودها الى النور
الذي كان بعيدا عني ثم سطع
ينفح فجر حياتي بالتشجيع ويدفعني
الى العمل مزينا طريقي بالخير
ليزيل منها اشواك الملل
ويحيلها الى درب كله زهور
وابتسام ولم اجد ما اقدمه لك
إلا هذه القصه ولعلها تكون
خير هديه.

سميره عثمان

اختفى من حياتي فأم كما ظهر فجأة، تركني أعيشه بقية
أيامي كما قضت الأيام النابتة قبل مجيئه — يا للأيام الغادرة
التي تعطي باليد ثم تأخذ بالأشفية — لقد مرت كالسراب —
كساعات خلوة تثيرها الأشعار والدموع ثم تنطفئ وتحل الليل
الكئيب ظلم حالك — لقد أنار درب بعد أن رافقه الظلام عدة
تزيد على الستة عشر عاما — قضيتها بين البيوت التنقل في دروب
الأصل والمعارف — ولم أكن أعرف سببا لذلك — منهن عمي وذلك
خالي وتلك جدتي وأخرى قريبة أمي وليس لوالدي من أثر في
طريقي — لماذا يا الرحيل — لماذا لا أجد أنسانا يعطف علي —
ولماذا أوجدت للأعيش أنانية بلا أصل — بلا حدود —
وبدون أصل — أين هم أصلي — كيف رحلوا — لماذا تركوني
للعذاب والظلم — أين أمي ؟ وأين أبي ؟ لماذا أحرمت منهما
لماذا أضنت علي يا الرحيل بحنانها وعطفها وحل الذئب في ذلك البيت
عادت العذاب وأتيت الى جدتي الحياة دون إرادتي ورغم مشيئتها
ليت حياتي كانت مجرد وهم عابر — مجرد لحظة ثم ضاعت مع الرياح
العاتية — إني أحمل بين ضلوعي الحقد على هذا العالم — الحقد
على الظلم والتعسف — على القدر الذي أورثني مآسي البؤس
والشقاء — لماذا خلقتني يا الرحيل فتاة ضعيفة لا حول لي ولا قوة
عندما أنكر في هذه الأشياء أشعر بأني وكأنه قنابل تنفجر داخله
أحمل أثقل من هم كثيرة يا أماه من آلام وعذابات — لماذا
أعيش هذه الحياة ؟ لماذا أنا أرحل عنك ؟ لقد ملكت ملكت مآسيك
ومتاعبك التي لا تنتهي ؟ لماذا أنا أنادي هذا العالم وأناجي صرخاتي
فلم يسأل عني وسألته الحياة غير آسفة عليك . ولماذا آسف على حياة

ذهب عني ولم يعد؟ ترى اين هو؟ وكيف ذهب؟ ولماذا
لا يعود؟ هل تراه غادرها خلاصا لقد عزم على العودة
الى وطنه منتصرا، ورجل عبر ارضه دون ان اودعه وكم يكلفه
تشجعه على الحمل وتجعل امامي الملائي حوديته - لماذا فعلت
ايها الغائب - لست ادري هل تقدر قوله وانضم «لفتح»
ام لا يزال يحث عبر دروب الامانات و البطولة والنصر سعيا لتحرير
آخر لبنة كانت آخر كلماته - سأنضم لفتح يا دعاء وانت لم
تعدنا ذكريني كل يوم وامنحيني قبلة منه يوميا للصداع الدماء
والنصر طريق بعيد - لقد حملت الى الليالي وانقطعت اخبارهم التي
كانت تصلني عبر بعض احد ضباطه ومنذ ان اخبرت سببا لذلك
لقد حدث ما أخشاه - لا لا يا الرجل الذي ترك ضعفي - ليس
تعطف على انانة اشتهرا منذ العهد احمله لا احد منه
الاحلام التي تيقني وتركني - لقد انقذني منه براثن الجوع
والبرد والوحدة الذين كانوا ينتظرونه مرصد للانقضاض عليّ
وانتزاعي - لقد انا بردي واضاد حياتي بعد ان كنت
تائهة في هذا العالم - لقد اصبحت ياحبيبي - يا منبع الذكرى
واذكر الصوم والوسامة والرقة - لقد تحققت كل احلام الشباب
لتجعلني اسعد مخلوقة في الحياة - ولم اكن ادري ان الحياة
السعادة كلما مرت تبتعد وتجح - لو كان ذلك المجهول معلوما
لدي لما انتظرته لحظة لسرت معه وجبت واياه بقاع الارض
وللدهر الدهر لا يزال يطاردني -
عشت وحيدة بعد ان اختطف الموت الذي في ريعان الشباب فقد
ذوت الزهرة التي لم يكتمل تفتحها وتركني فتية صدمات العواصف

الغادرة ولم يكتف القدر بذلك حتى ولم يفجعه موت اخي
فاطلبه بصدمة القاسية على اثر بعد مولدي بساعات ليكمل
لعنته المخبوءة - لم اعرفه ولم اليه عند مولدي كما يقال لي وكانني
عرفت انني سأحبه للابد والاخرة، فلماذا ابكي ما دام صنائك
منع للبكاء، وما دامت الايام والسنين تطالبني دائما بالدموع
ولا شيء غير الدموع - وجدت نفسي طفلة بين اطفال في سني
واكبر او اصغر - وكل يوم يزداد عدد الاطفال الذين
يشاركونني حياتي ومصيري - انني اعيش في ملجأ الايتام -
لا ادري بما يوحي خارجا سوار الملجأ في الدور والصور -
في الملاعب والملاهي والمدائن - لا يرضيني الا الله اكون منفردة
بنفسي ولا يلذ لي الا الله ارثه لحياتي العناء لتعلم في اجواء
العالم الآخر والملكوت السماوي - وفي الله اترب منه
يوم لقائي به وقليلا ما كنت اشارك صاحباتي لعبهن
وضحكهن لانني كنت اشعر انني لم اوجد للعب بل وجدت
للشقاء وان الله لم يخلقه لامثالي - بل وجد طفلة يفضلني
مصاحبته و المخاطرة به وكنت انا عبء ثقيل للهم ذلك -
وجاءت سيدة الملجأ يوما لتصحبني الى غرفتها وسرت خلف
ماما حياة وضاحوا الاسم الذي اطلقوه عليها رغم انني
عرفت منذ طفولة الامي الحقيقية وهذه الانانة هي الاسم
العنوة لمئات من الاسماء مثلي - وكما قلت سرت وراءها
حتى انتهينا امام باب الغرفة ولشد ما دهشت لمنظر الرجل الذي
كانت الغرفة تحويه بين جدرانها - عريض المنكبين ضخم
الجثة - طويل اللحية ذو شارب ملتوي ومزعج منظر

في أول الأمر ولكنه الفزع — سرعان ما تتبدد مع بزات حضرته
الذي كان يعالج المنظر عاما — يذوب رقة وحنانا —

— اهلا وعاد اهلا يا بنيتي —

— اهلا بك يا عمام

: انت لا تعرفيني طبعا، فأنا صديق المرحوم والدك —
وقد أتاني الليلة وأنا نائما وطلبني أن أزور ابنته وأراها
ولم أكن أعرف أن المرحوم أنجب أولادا وبنات، وكثيرا ما أصدم بالأخبار
التي تراودني ليلا في الصباح سألت زوجتي أن كان يوجد
للمرحوم أحمد عبدي أبناء فأجابت بأنه له ابنة وحيدة ماتت
والدتها أثر ولادتها ولكنها لم تكن تعرف مكانك فقلت
لها أهل الغريب وهو الذي أخذك إلى أن شاء الله أن أعرف عنك
أمام وكان عملك وسألت عنك فأجابني أنك لا تعرفين عنك
شيئا في الملجأ ولكن شيئا غير ذلك جعلني أصر على
رؤيتك رغم رجوع فتاة تنتمي إليه ما لديهم في ملجأ الأيتام
وهو الذي أخبرك عنه اسم الملجأ فأخبرني به وما أن
عرفت ذلك حتى أتيت للتعرف عليك —

— اهلا بك وأشكر له على هذا الجميل —

— لا تقولي أنه جميل منه واجب عليه وعلى زوجته بعد جميلك علي وقد
كان يجب علي أن أقوم بهذه الزيارة منذ اليوم ولكنه جهلي بوجودك
جعلني لا أزورك.

— أشكر له يا عمام ولكني لم أعرف اسمه حتى الآن —

— أنا أحمد رحيمة وقد كنت ووالدك رحمه الله لا تفترقان أبدا —
أوه — أيام — مرت ولن تعود — لا زلت أذكر يوم تشرد ناصر

بدتنا، يوم وقع والدك شهيد الأرض المقدسة، وحينما أتانا
والعدد الاستشهادي يوم ضحى بروحه كأول شهيد عربي شهداء
تلك البلدة التي ناضلت نضال الأحرار الأبطال — وسقط
والدك ليردي الثورة باطلها الدماء دواء كما — وفر الجميع
عدا أمام المدافع والبنادق لا يحميهم شيء إلا الله والمدافع
التي تأتيه الريح جنونا وطغيانا فتتناثر وتمزق الله عدا البلدة
وتدرك أن تعرف أن بيت جنيبر جنينا يقترب موعد أجله الله على
جبهة الثورة والتشرد والذل — وهكذا أيا بنيتي سادت الأشرار
الأبيض، والدك صالح وأدرك أن الثورة ستشرد بقيته عبر
الأرض والدم — الدنيا كلها مصائب ومتاعب والأنانية هي
كثير في سبيل الحياة التي لا تساوي شيئا — فلا بد أن يكبر ويعمل
ونذهب عنه الأسوأ وتطلبها الوصول إلى أن يصل إلى
هدفه الذي لا بد وأن يصل إليه في النهاية إذا أراد الله
له ذلك —

— ولكن كيف ستكون الحياة يا عمام بالنسبة لفتاة تعيسة مثلي
مثلي ما هو الهدف الذي سعى لتحقيقه والوصول إليه — ليس هناك في
هذه الحياة وليس هناك هدف أتمنى الحياة من أجله أو أصل إليه
ولا شيء يجذبني إليه عين التفكير في الموت الذي يريحني
من هذا العالم الذي لا يرحم وسأظل أبحث عنه حتى أعثر به
أو يعثر بي ولن أنقذ الدليل في تلك الراحة الأبدية التي أحلم
بل غير تلك الأبدية الرحيمة التي ستلتقي باسمه وصنائعه التي
حرمت منها في هذا العالم الزائل الفاني والذي سأجد معتقلي فيه
شهادة تريحنا ومن هذه الله الله الذي جاء في الحياة

الشقاء ولا اظنه انه يجرؤ بني منه السعادة بجواره بعد انه هو سبب في
هذا العالم — ويكفيني منه الوقت انه سيخلصني من هذه الحياة
وهذا حسبي —

— لا يا بنيتي، ليس هذا هو تفكير فتاة النكبة الفتاة التي ضحى والدها
من اجل بلاده ليست هذه هي الافكار التي تسيطر على فتاة السادسة
عشرة وبعد سنوات ستكبرين وستكونين له الشرف في الاشتراك
بحرب التحرير التي ستشنها على اسرائيل وتنقذ وطننا من ايدي الغاصبين
— لست انكر في التحرير الآن ولست انكر في شيء سوى الموت الذي
يسيطر على كل ذرة من كياني ويسيطر على بأحضانه الحنونة ويطويني كما
يطوي الآلاف كل يوم وكما طوى الملايين من قبل.

— لماذا هذا التشاؤم يا دعاء لا تكوني هكذا ليس تفكيرك إلا
تفكير اطفال لا يعرفون معنى الوطن ولا معنى احلامهم واشتهاءاتهم
حتى ولا معنى انفسهم —

— تقول لي لماذا هذا التشاؤم وغريب انك اسمعتني هذا السؤال وانا على
هذه الحال — وحيدة — مشردة — لا حبيبة — لا اب ولا ام
حتى ولا اخ — لماذا يا الهي — كيف لي ان اتحمل يا عماد هذه الآلام
التي تسيطر علي وتثقل كاهلي — انه جبال كبيرة وهموم — لا يعرفون
إلا الدموع تصاحبني تفرج مقلتي والبكاء ليصدع رأسي،
كيف احملهم هذه الافكار التي تجرني الى الموت؟ كيف؟ كيف؟
يا عماد؟! ارحمني يا الهي وانقذني من هذه الاحزان —

— لماذا كل هذا الحزن — لا احب ان اراك على هذه الصورة ولا
اود ان اراك ابنة اخي احمد تتألم وتتوجع من الحياة.

— بالله عليك حبيبي كيف انقذ روحي وكل ما حولي صامت مخيف
وليس ما ينتظرني خارج اسوار الملجأ إلا الخوف والرعب ولم يبقى
لي إلا عشرة ايام وما ويلفظني هذا المكان كما لفظ غيري بعد ان
قضيت فيه حياة تخلصت فيها من سرحوب الاهل والاعمام الذين
لم يكن همهم سوى متاع الدنيا لا تتحدث ان بقيه إلا ان تقوم بأعمال
يعجز عن القيام بها الشباب ممن يعيشون في كنف الاب وحنان
الام — كانت علي تلك الايام ان انظف البيت وان املأ الماء
من العين التي تحت طريق الوحوش واحمل الحطب وغير ذلك
ارعى الاغنام وانظف الحظائر — هل يكون باستطاعتي ان اقوم بكل
هذه الاعمال وهل كنت اقوم بها لو ان ابي او امي ما زالا على
قيد الحياة — لقد كانت ايامًا مظلمة شاقة وما يلي ايام اخطات في
عملها او تلكأت في القيام بعمل آخر فليس من احد او حتى اعمامي
ذلك الا سوطي الذي لا يرحم او حذاء جدتي الذي يثير
رعبا انال منه ما يقسم لي — ثم يتفضل القدر الذي ايسر
واحدة وساقني الى هذا الملجأ عسى ان يكون احدى معارف امي التي اطلقت
على ما اقاسي من ضعف واوجاع ما ما حياة في بيت وها انا ذا
اجد نفسي سأعود الى تلك الحياة المرة بعد ان ادركت انا صاحبة
ويح نفسي كيف انسى الظلم والقسوة ولكن ليس هنا سا يؤلمني انما
يزعجني اني سأجد نفسي ضائعة بعد عشرة ايام ليس من
مأوى ولا من انسان يفزع عني — آه ويلي من هذا العذاب —

— صدقني من روحه يا بنيتي واستمعي الى ما اقول فقد مرت بخاطري
فكرة ربما وافقتني عليها وارجو ذلك —

— ماذا يا عماد — قل يسرني لعلك تخلصني من الحياة فأنا انكر في الانتحار

— في ماذا — !! الانتحار؟ ما هذا يا دعاء؟ ولماذا الانتحار؟

— لقد تعبت من الحياة وملذاتها الا ترى انه ذلك يغفر لي جريمة الانتحار — لقد تعبت ورغم انني اعرف انه جبان وخوف من الحياة واعرف انه يقدم عليه لانه يعتبر الانتحار باسم الوافد كما يهرب الجبان من ساحة الوغى إلا انه هذا لا يعفيه من الاعتراض ما دام يخلفني من حياتي الثانية واصدقك القول انه لو كان لي اخ او اخت تقاسمني الاعزاء لما فكرت في الموت ابدا آ —

— صه ما أنت اريد قوله

— ماذا تعني يا عماد — ماذا تريد ان تقول — ليس ما يقال في هذا الامر لانه لا داعي في الحياة دون اصل —

— انت لا تعرف عن عائلتي شيئا — ليس في من اتباد الا واحدا ويعيش هو الآخر بين اخواته.

— صه لا تتحدث عن حياتي وحياة ابنك فأنا بيد ربي وبيد ربك ايضا وهذا ما يجعلني لا اهتم للحياة —

— الا ترضى ان يكون عماد اخوك وانه اكون انا وانت والدته

— ماذا تقول يا عماد وهل حقا ما تعنيه؟

— انني اعني ما اقوله فعلا لطالما تمنيت انه تكون لنا ابنة مثلك وانه تكون لعماد اخت تشاركه مشاعره وافكاره وآراءه انه شاب وحيد كما ترى كبيران في السن لا نستطيع مجاراته فيما يريد وجود له بيننا سيزيد سعادتنا وسيعلمنا روحا وتفتحا على عماد الذي لا نملك في الحياة سواه انه لا يكفيه إلا بعاصيه ولم يجد من يشاركه كل ما يقوم به من اعمال — الا ترضى يا دعاء بأن يكون عماد لك اخا؟

— سأفكر يا عماد وسأعطيك رأيي بعد ايام

وانتهت الزيارة عند هذا الحد ووعدت الغر محمود بأن اعطيه رأيي في الاسبوع القادم ومر الاسبوع سريعا — وكأنه حيدار الملجأ ضاقت في ذرعا فأسرعت في جمع الخطوات الى الامام لتباعد بيني وبين المكان الذي احتضنني ايا ما وستين — احتضنني طفلة وشابة — احتضنني فتاة باسة حدها الحزن والالم واعتاها البكاء والسهر — فقد نشأت وسط الاعزاء فكيف انا عاجز ولكنه الانكار — عند ما وعدت زيارة والدعاء — عماد — اسم جميل، انه سيكون اخي لو وافقت عليه ولو وافقت على ان اعيش مع تلك العائلة — ولكن كيف اعيش مع عائلة لا اعرف عنها شيئا — ومن هو محمود وجماله هل يعرف والدي حقا — هل هو صديق والدي — ولكنه صديق ابي بعد آ ما ذا لم يتكلم بالسوء عني إلا بعد ان شرعا وماذا ترك لي كل هذه المدة لماذا لم يسأل عني إلا هذا الوقت بالذات — انني لم اعرف احدا طوال مدة وجودي في الملجأ حتى اعمامي لم يسألوا عني — وكيف اني هذا الرجل ليسأل عني — ولكن بنانه كانت صادقة وصادقة ما جعلتني اعيد من نبرته، غير انني خائفة من الغد — الغد الذي لا يرحم كما لم يرحم الامس ضعفي انني اخاف من الغد وما يحمله من مفاجآت — لا بد وان يأتي الحاج محمود غدا ليسألني رأيي — ترى هل اقابله ام لا اواجهه انني يا الهي اعني وارحمني

— دعاء — دعاء

— من هو يتكلم — انني لا ارى احدا —

— دعاء — دعاء اسمعي يا ابنتي —

— ماذا سمعت من هذا — انه صوت امرأة آتت من بعيد —
انه صوت رنانه بعيد — بعيد — عد آتيه انت يا صاحبه
الصوت — اتيه —
— انا يعيدة — يعيدة جدا آت —
— الهي ما هذا أسمع — من يتحدث ولا احد يجيبني
اكاد اجن يا الهي — الهي افقدني — جذب الليله —
— لا يا ابنتي — لا تطلبي الموت فالايام امامك كفيله باسعادك
— من انت يا صاحبه الصوت — بالله عليك — اجبريني من
من —
— انا لست إلا روحا تنادي سيدها ما حملت اليك القسم التي اشقاها
وجود له وحيدة — انا التي لا أستطيع ان اتذوق له السعادة وانت
هنا شقية — لقد — آه ي الآه يا ابنتي ان ارتاح من التعب
الذي اضناني ستة عشر عاما — آه ي انه اصدأ واغصه عيوني
وانا راضية النفس —
— من انت اسمع صوتك ودعني ارى الله ألا تتقدمي؟
— لا يا ابنتي — لا استطيع ذلك — لقد تربيني ابدا — وبعد اليوم
لن اعود اليك فأرتاح الآن لانه ستكونين بين ايدي رحيمه
ترعاك كما ترعى نفسك —
— ومن هي تلك السيدة ايتها الملاك —
— سري انك ستبقى بهذا الاسم ولكني لم أجاري معرفتك منذ انا واقول
لك انها السيدة التي اطمئنت الآن الى وجودك بينها واني انك
ستدنا جبينه الى لمساتك هي ايدي الحاج محمود وابنه عماد الذي سيكون
لك اصدق اخ ثم زوجه الحاج محمود وداعا يا ابنتي

وداعا يا صاحبه انت نعم الشخص الذي يخلد ذكراك — وداعا —
وداعا —
— ايتها الملاك ارجوك — ارجوك انه تحدثيني عن نفسك
ولكن الصوت غاب عني — ولم اعد اسمع إلا ترديد صدا الصوت
الذي كان هنا منذ لحظات لكي الانكار والاوهام — سأواظب على ان
اتحدث مع الحاج محمود ما دام الملاك اجنبي بذلك — سأبشر
عنه والدعاء بما حدث هذا اليوم الذي اعده اجمل ايام حياتي —
وزاد في الاحزان والشقاء والآلام — وآه ي انه انكر نفسي وفي حياتي
المقبلة مع هذه العائلة — لقد اجنبني الحاج محمود انه له ابنا يكبرني
بما صبية واسمه عماد — ترى ما شكل عماد — هل هو في المدرسة — ام
انه لم يدخل المدارس كثانه بعض الشبانه — ولكنه اعتقد
انه طالب في المدرسة — ترى لو علمت سر الحاج محمود انه اكمل
دراسته الابتدائية في هذا الملجأ — وثلاث سنوات اخرى
ونال شهادة الدراسة الثانوية العامة —

قضيت ليلتي وانا اتصور حياتي القادمة — حياتي مع الحاج محمود وزوجته
وابنه عماد وبدأت الافكار تلاحقني وتقصد مضجعي وانا اتقلب في الفراش رغم جو الهدوء الذي يشملني — ما لفتيات البوم الذين
في غرفتي يغرقهن في النوم وانا وحدي التي لا ازال ساهرة
آناجي كل شيء — الليل الساكن الوديع — الليل الذي يلفني
ببرودته الداكنة ويحيطني باسراره والغازه — يناجيني بجماله
الليل الذي اذكر فيه ما مر علي من حوادث وآلام مأساوية حزينة
والمي — واشاركه في همومي ووحدتي — ليت لي انا ان اشعر معي ولقد
ظروفي — لا اتصور انه انسانه تعذبت مثلي وعانت من الآلام

ما صادفت وحدتي الطيبة ما حرمتني منه - ليتني اعيش كبقية
الناس لا احدها - تقدست والاعزاء طريقي، والهموم
احبتني والمصائب ونوائب الدهر اهلي - هذا هو كل
وحيدي مالي في الحياة - وليس لدي إلا قلب يخفق و يحتقر على
الظلم اللانهائي - انكار تلاحقني - واوهام تزرع الطريق
امامي بالاشواك وتملؤه بالهول وتحيطه بالوحوش الكاسرة.
تقلبت على فراش الافكار والاحلام ولست اعني احلام
النوم اذ لم يطرد النوم اجفاني ولم يجد اليه سبيلاً تلك
الليلة - بل احلام اليقظة التي تسوقني الى مدارج السعادة
كارهة ثم تهوي بي الحضيض يتقوض في اعماقه الرجاء كارهة
اجزع - وانبلج نور الفجر عن ذهبية الاشعة واطلت اولى خيوطه
تنسج حولي قصة البؤس التي عشتها لحظة بلحظة واستقاتل الى
لحظات حلوة لا طعم لها للذل - مرت الساعات وانا اناجي
الشمس التي تحاكيني بوحدتها - مسكينة انت ايتها الام التي تعطف
وتقسو اذا ثارت وحيدة وانا وحيدة كذلك - ولكنك
سعيدة بوحدتك تلاشيه يتحكم بك ولا سبيل عليك بل
ترتفعين بجلالك عن كل البشر، تمتلئين زهواً - وانت
اكبر منا جميعاً - اما انا والتي اشبه بك نأيت انا عنك
يا ملاك هذا العالم - انك تضنين بأبهة تعزني بتي وارادة
تهربين كأني مأساتي عندما وجدت طريقاً اليك تابعت تنزل
ناظرة من علم البشرية وهموم الحياة - حتى انت تبتعدين عني
العذاب كأنك على موعد مثلي مع القدر او لكأنك تودين
ان تقرئي موعد اللقاء الذي سيقرر مصيري اللقاء الذي يبدو

ذلك الشخص الذي سيجيئني من مآزق الوحدة وخواطئ الدهر
- واثقب الوعد الذي استقر لذكرى باللذة المزوجة
بالوجل والخوف من اقترابه - وجاءت ذهيلي تدعوني
لابد البي طلب ما ما جياع - لم افاجأ لتلك الدعوة فتحت
في المرة (السابقة) السابقة، بل اني انتظر هذا اللقاء الذي اعده
منذ اسبوع - وخرجت وكانه شيئاً ما اثر على قلبي فازدادت
ضرباته مع كل خطوة اتقدم بها الى غرفة ماما جياع وطرقت
الباب بطرف مرتعش وانا استعير بالدعاء الساذج شرح صدرها وجهها
الذي احسست بالنار تتأجج منه - ودلفت الباب والخجل
يعرقل تقدمي وسددت كفي للاصابع الحاج محمود الذي اعتلت
وجهه الابتسامة والفرحة لرؤيتي -

- اهلا وسهلا به ياعماد -

- اهلا به يا بنيتي - السلام على عماد - والدي الذي
حدثته عنه -

- اهلا عماد

- اهلا دعاد لقد حدثتني والدي عنك كثيراً ولقد رسمت له
صورة في خيالي ولكنه الخيال كثيراً ما يغير الاشياء فلا تكاد
تعرفها في خيالي على عين ما هي في الحقيقة

- شكراً يا عماد ولقد حدثني عنك والدك الحاج محمود
فتشوقت لرؤيتك

- لست اريد انه تتشوقي لرؤيتي فقط بل اريد انه تتشوقي للاعتراف
والتعبير دائماً بحب دمع والدي واتمنى ان تكوني قد برئت
الانضمام الينا وحدنا ما نأمله جميعاً.

— وهذا ما نرجوه يا بنيتي فماذا تقولين؟

— انني لا استطيع ان اعبر لكم عن مدى شكري وامتناني وانا ان طلقت في سن مبكر الحياة بليه يكويه إلا ان اجبر عائله تضرب كواجره من ازادها وفي الحقيقه لقد ترددت كثيرا قبل ان اقدم على هذا الكلام ولكن ما حدث لي جعلني اسير الى مثليه الدكتور مروان بنانع بعض امري به صوت امرأه حادثتني وانا في اشد الحاجه الى المساعده

— وصرحي تلك المرأه يا بنيه؟

— انه صوت لا ملكة ولم ار صاحبته ولم ار من اسبه جماد بل كل ما في الامر ان التفكير انهاله فوائي وعلى حين غره جاءني صوت ملائكي خيل الي انه آت من بعيد من العالم الآخر وليس من عالم البشريه القاسي وقد امرني هذا الصوت ان اواظب على طلبه غير انني اكمل ان الامر لا يسبب لي ولعائلتي اي ازعاج وذلك ما اخشاه.

— ما هذا يا دعاء لقد عدت الينا منذ اسبوع — اي منذ اول لقاء بيني وبينك وقد عزمت العزيمه قلوبنا بتلك الزهره التي توشك ان تتفتح فجأه في باحه دارنا التي تفتقر الى هذه الزهره اليانعه — لقد كان الخير اجمل مفاجأه في بيتنا وان لم تصدقيني مرتهن اعاده هو الدليل على ذلك

— نعم يا اخي — نعم يا دعاء — لقد كانت اجمل هديه في حياتي وحياتك والباقي — وهذه الهديه هو مزيد من الهواء بيتنا على احدى الملائكه الذين يعيشون معنا في الخيال وهما اسعد قلوبنا امر الحلم والخيال سيصبحان حقيقه واقعه وستتزوج

اعذب واجمل الانغام لوجود له معنا. ألا يسعدك هذا يا دعاء الا يسعدك انه تحدى اليوم بين اخيك عليك واخ يغار عليك وبيتك في مشروعاته وآماله — سنذهب الى المدينه معا — سنغادر القريه كل صباح الى المدينه ونعود مع العصر لنرح في الحقول ونتاجي الغروب ونحادث الاشجار والاطيار التي لا احد طعما لها الرا والناوحيد — الا ترغبين في ان اكون لك اخا يا دعاء — نرجو لك جميعا وارجو لك انا يا سم والداي ان تواقني حتى تكتمل سعادتنا —

اخي — هذه الكلمه التي تمثل لي تيارا من الحب والحنان — هذه الكلمه التي ترددها مرارا في الكتاب انها لتقرع اجراس الاشاعه والحزن الكلمه التي طالما حلمت بها وتمنيتها — ثم ماذا ايه — ام —

اب — وام — يا لعجائب الايام وحصاد افكارك — كيف ومتى اصبح مع عائله تحبني وتحبني مثل اخ مثل دعاء — ؟؟ كيف يحصل هذا وهو ان يكون صحيحا له اي امل في ذلك الكائن — ما احلى هذه الكلمه الاخ ان اترك عمرا بحجم الاعدم الى وجود — والوهم الى حقيقه واليأس الى امل برا قد يسطع في ظلمات القلب الذي ما فتئت تتكأكأ حراره وتنزف دماؤه — لقد عاد الامل الى قلبي بعد طول غياب — وايسر كان هذا الامل لقد مثل طريقه امامي حتى تم مجاهم عندي — ما احلى الاحلام جنات الخلود — لقد عشت الامل في تلك المتشابه به ولا اترك ليضيع مني احدى — اهلا بك ايها الاخ الذي بحثت عنه ومرحبا بالايام التي ظل والدي كالحاج محمود عبد الحق كلما عاد وهذه طليعه الاشاره يكويها ثم الياكم ثم بناءا بصيص من الامل منبعثه

— ما تقول يا دعاء اباذا انتكرين —

— ~~موجه~~ ابني اداعه بكل مشاعري على ما انت تقدمين عليه
— اذكر تعالي يا ابنتي نتصائح مصائح الاحباب وخلق بجميع الوفاء
والاخلاص امام ماما عياد.

وفي وسط الغرفه وحول منضده يتوسطها المصحف المقدس تشابكت
ايدينا وردد نا اليمين الذي اسمياه دستور اهتدي الى العائله
التي اعيش في الامل —

وستة تلك اللحظه وانا اغترف السعاده بنهم رغم ما كان يشوبها
من الشوائب التي لا تظهر الا وتختفي — فلقد مر عماد ووالده
بعد ان تناول مع والديه بالطبع مر التحاني بالمدرسه واتمام درسي
في مدرسة المدينه وصدانا اراحني من طلب والده بنقلي —
رحلت مع والدي وعماد موجعه الليل وما ما عياد التي تحمت
لي السعاده والتي منيه وضع كل كلمه من كلماتي دمعه ساخنه
وخفق عطف على فتاه عاشت معلمه وبراءه بجوار احد ثت وثارت
ذكرياتي بدموعها وتمنياتها واخذنا يادوب اجرم تقلنا الى قريتنا
الجميله التي غادرتها طفله لا تعي شيئا وعدت اليها شابه في ربيع العمر —
وتأملت عماد وهو جالس في المقعد بجانب والده يلفه الهدوء والصمت تأملته
بطرف خفي — شاب الثامنه عشره — لا تزال ابتسامه الاطفال وشقاوتهم تظل
على عينيه السوداويه — لست اقول انه سوف في جماله الناعم فلم يكن في الوافع
جميلا ولست اقول انه ملكه في صوره انسان كامل كل ما اسرع الى
ذكري تحريطه من عينيه — بشرته السمراء التي لوحتها شمس القريه —
الشعر الذي يتصدر جبهته من آثار لعب ايام الطفوله كما اعتقد — طوله
الذي يعتبر اكبر من سنه ولكن ما جذب انتباهي انه يشبه بالذكاء
الخارق — ولا اعتقد ان انسانا ممكنه ان يلمع اسمه في العالم الذي اعيش

منه، وما هو العالم بالنسبه لي — انه لا يتجاوز حدود القريه وبما اذا
حاول ان يتخطاها يتعداها ويتجاوزها فسيكون الى المدينه التي سأنتمي الى
احدى مدارسها —

وصلنا القريه بعد ان كونت الذكرى عزلي وعن البيت الذي سأعيش
فيه — بيت قديم تحتكر الحيوانات طابقه السفلي — اما الطابق
العلوي فقد تخصص للعائله — ولدهشتي كانت الاماكن على نقيض
تذكري عما كانت — بدا لي حديث يدل على ان صاحبه عليه ثروه لا
باس بها، طابقه ارضي يعلوه آخر مكون من خمس حجرات —
وعلى الباب الخارجي استقبلتني والده ~~احمد~~ عماد يتوسطهما الضفادع
الطويل والعليه نكاد تتكلم في غيابي استقبلتني بالعبارات —
وفجأة تحول لساني كانت انسانه بينه وجود امرأة في مثل عمري
تحب كل الناس وتعطف على الجميع فلا تمل الحديث للتي بينه من ذوات
المآسي وان كانت — وما ان دخلت البيت الذي ارشدني الى احدى
غرفه والده عماد وعرفت منه ان عليا ان اخفف للضيفه الغاليه وتعبي
انا حتى انتقلت آذاني اصوات بعض شاد القريه فمادمات
الى البيت ليرحبوا بي وللأمل مرحم الغيبه بوما من ايام الشاد
وصبيه يتطوعون في جديته الخروج الى مواضيع كثيره يديرون بنظام
اعرفه تماما منه ثلاثا الى ثلاث وهكذا ولم يتركني انساني
القريه الا معينه وكنت بانتقاداتهم اللاذعه احيانا والمليئه
بالهزل والمزاح احيانا اخرى وام عماد ترحب بهم والجميع يرحب
بابنه الحاج محمود الجديد وتردد الدعوات بالسعاده —
والبيت كقاعه المحكمه ينتقل من قضيه الى اخرى ويذهب جميع لياتي
جميع آخر والجميع يحدثني وكأنني نزلت عليهم من السماء —

ومرت الايام تحمل كل يوم جديد وكل ما تقدم فيه السادسة عشر من عمره من مأكل ومشرب وكتب وغير ذلك ـــ وبدأت اعتاد على الحياة التي اعيشها نفس في حضرة والدتي الايام وبدأ الاستعداد للعودة الى المدرسة بعد عطلة الصيف التي قضيتها مع والدي واخي على احسن ما تكون ايام العطل، وبعد ان كنت اشعر بالغربة في الايام الاولى صرت وجودي في هذا البيت ورأت وكأنني فعلا احدى افراد الاسرة لا يعرفون الحزن ولا الهم واخذت اذوب شيئا فشيئا في بوتقة عالمي الجديد ـ عالم كله لهو ولعب وأكل وشراب عالم كاد ينسيني منه الشقاء فاصبح الشقاء كأنه لم يكن وجعلت انوثتي تتفتح وجمالي يظهر شيئا فشيئا ـ ملابس وتدلل ولا تفكير ـ لم أكن اقوم بأي عمل في المنزل رغم توسلي لامي بأنه تخلني عن بعض الاعباء ـ فاذا اصاب تركتني ذلك تقول لي ـ صغيرة يا بنيتي لا زلت صغيرة على هذه الاعمال يا دعاء وعندما تكبرين سوف تأخذين نصيبك من الدنيا سينزل عليك الكثير من هذه الاعمال اما الآن فليس عليكم نصيبك الا نصيب الزهرة في سفك اللهو والسعادة ولا شيء غيرها ـ هذه هي امي الثانية وانا احبها كل حبي ولم يكن والدي اقل منزلة طبعا بل كانا متساويين في كل شيء وكانا يتنوعان للطبع والرقة والعطف الذي لم ينضب معينه طيلة ايام وجودي معهما ـ وعماد لله ما اراه عليه فقد كان نعم الاخ الذي سهر على صحتي والرفيق لي ـ لا يلذ له الا ان اجده بقربي وتجلس الى

وشيئا فشيئا انضم ذلك الحاجز الذي كان يباعد بيني وبينه وذاب التكلف والخجل وبدأنا حياتنا كأخ وأخت وعطف وحنان وسارت الايام هنيئة وانا وعماد نتسابق معا في مذاكرتنا ونتنافس في حل مسائلها وبدأنا الذهاب الى المدرسة صباحا والاياب مساء وليس صعبا ان يقف عقبة في طريقنا ومر العام الدراسي بأكمله ونجحت اي العائلة لان تزداد الا تشبثا وائتلافا واصبح كل واحد منا يلهث على اثار الآخر ـ اعود الى البيت في الرابعة مثلا اجد الاساور وليس من كلمة الا عبارات الحب والعطف والتشجيع من والدي لكلانا ونحن انا وعماد لازداد الا تقدما في دروسنا ـ وعماد يقدس العلم والدراسة وانتهى العام على خير وابتدأت العطلة الصيفية غير ان عماد مازال يدرس وعماد؟ لانه يستعد للحصول على شهادة الدراسة الثانوية العامة لكي يحدد اين يريد ان يظهر نتائج ذات صباح واعلنت الاذاعة اسماء الناجحين في الثانوية العامة وكان عماد من الناجحين بتفوق ـ

ـ لقد نجح عماد يا دعاء وانت ستتخيبين انت ايضا ـ

ـ سيدتي يا ماما ولكنه اسم عماد اسم هو ـ

ـ لقد ذهب الى والده ليتعلم البناء ـ انظري انه اكبر مع مجموعة من زملائه

ـ اذهب واحدثهم شراب الليمون تعبين احمر فرحتي بنجاحهم

ـ اهلا عماد ـ اهلا سيدتي يا اجمل الناصيدلة ـ

ـ بارك الله فيك يا دعاء والحقي للاسف ما شاء الله ـ ماذا اعددت لنا سر الشراب ـ

ـ لحظة واحدة سر فضلك

— ولماذا اللحظة اسرعي يا دعاد —
— مهلا يا اخي —
— اسمحي يا دعاد انه لم يقضي الشاب حالا عليه اقدم له الهدية التي اعددتها له بهذه المناسبة.
— مناسبة ماذا؟ اي مناسبة تقاحلة؟
— اجل — اولست مرحة بذلك؟
— كيف تقول هذا يا دعاد؟
— اذا لم تلاحظي انني
— اسأله لانه من الواجب ان اقدم له الهدية انا بنفسي ولست انت الذي تقدمها —
— انني احضرت له الهدية مرحة بنجاحي.
— مدوله يا اخي واشكرله وانا ذاهبة لاحضر لكم الشاب بشرط انه تقبل هديتي رغم بساطتها —
— هذا ما يقال عفير الكلام (ما قل ودل) وهذا نعرفنيه اما انا فأقول خير الهدايا ما قل ودل ايضا فالهدية بسيطة والمعنى كبير وهان ما عندله
— امرله يا اخي.
— لا ليس امرا ولكنه اطلب بلطف.
— اجل ولا داعي لكل هذا الحديث.

واحضرت كؤوس الشاي لدعاد وزملائه الثلاثة الذين انوا لتهنئته وتهنئة والدي بنجاحه.

ودعاد لهم جميلة والغريب استقبله الجنونة عليها وانا وعاد نجلس على السطح لنشاهد منظر الجبال التي تكونها اشجار الصنوبر والارز الاحمر في عاد عن اعلاه في انه يكون دراسته بجامعة القاهرة

محط انظار الفلاحين العرب وحالني الحبل بقدر ما افرحني عاد سيذهب الى الجامعة وسيصبح الكرشتيان قريبا نقاعة وعلى وسكل دراسته — وافرحه قلبه وقلبي وقلوب اهلينا — الخ سعادة لا توصف ولله كيف سنعيش بدونه — انه نور الحياة وعصباع الامل — انه ينابيع الفرح والطرب انه ناي الفجر الجميل — انه كل شيء في حياتنا كيف يذهب وكيف سيتركنا بعد انه اشتت شمل الحياة علينا فجأة — لا لا يا عاد — ارجوك ان لا تذهب —
— ما بالك يا دعاد هكذا يا اخي — لماذا انت ساهم — بم تفكر سيد —
— لا شيء يا عاد —
— اتظنين انني بهذه السذاجة — كيف تقولين لا شيء — وعيناك تقول كل شيء —
— هل انت تقرأ العيون؟
— نعم —
— وماذا قالت لك عيناي؟
— لماذا تسألين؟
— انه تقول بأن عيناي قالت له كل شيء وانا لا اعلم هذا القول الا اذا كنت ساحرا او انه العصفورة قالت له كما تقول الامهات لاطفالهن؟
— ولكنك لست طفله وانا لست امك —
— اذا فماذا تقول عيناي؟
— اتوديين انه تخبرني سرا؟

— اجل .
— الآن ؟
— اجل اجل يا عماد .
— اذن فأمري لله — عبدالله تقول يا عم — آسف يا اعتام انزل تقول لي لا تذهب . ليس كذلك ؟
— لا اصدقه انه حيواني ثالث لله هذا . وعماذا تقول ايضا ؟
— وتقول لا تستطيع العيش دونك فانت رجيد عنا .
— يا الهي انه عالم عجيب .
— وتقول انكم لم تجدوا السعادة بعد رحيلي رغم انه كثير ؟ بأنني سأكمل دراستي .
— كأنه يا عماد في تلبي شعلا ادركانه تقرأ صفحة كتبتها وهذا ما يحيرني —
— اسمعي يا دعاء تلبي يحيرني بنفس شاعرة ولكنه في اعماقي الحياة وهذا سأعيد الى تحقيقه ولم يثنيني عنه ذلك شيء —
— وماهو امله في الحياة يا عماد .
— انت تعرفينه يا دعاء ماهو امله —
— اتقصد تلك القصص التي تكتبها والاشعار التي تؤلفها ؟
— اجل
— وعماذا في ذلك الا تستطيع الكتابة وانت هنا تربينا .
— هذا لا يمنع ولكنها العلم يزيد الانسان معرفة ولهم تكفيني شهادة المدرسة الثانوية بل انني اشوق الى قاعات الجامعة ومحاضراتها سأصبح اديبا يا دعاء وسأكتب القصص والاشعار وستكونين بطلة لكل قصصي —
— جاد دور الهذر والمبالغة .
— لماذا يا دعاء ؟
— لانك عندما ترى الجامعة وحياتها تنسى الاصدقاء وستنسى دعاء ايضا .
— لا يا دعاء لا يا اعتام معاذ الله انه انسى ما هيبت السيدة الشريفة والدة والنعم التي زودتني بها طيبة النفس لا انسى دعاء الخير والجمال كيف انسى اختي التي سارت لي الى السهر والتعب كيف ؟ كيف ؟
— اسمع يا عماد اذا اردت انه تسافر الى القاهرة هذا امر الى الادارة "ترسل" لي مع صالحة اذا كنت لا تريد انه تسافر وتشرح لي عن حياتك بالتفصيل حتى اشعر انك بقربنا ولست بعيدا عنا .
— والله لهذا يا دعاء ما دام هذا يرضيك وهذا رغبتك ثم الالتحاق بالجامعة في القاهرة ؟
— يا سلام — كأنك قد اصبحت صالحة فعلا —
— فعلا يا دعاء انه الصحافة تدعوني للدخول واطلعه على كل جواهري وسترين عنا انه اسمي سليمة وطننا الاديب الشهير عماد محمود ولكنه ما يدعني الى ذلك هو انت حبيبة وصاحبة الاخوي ورفيقة وبكفاءة .
— بالنسبة لزيارة القاهرة قد نرى اما اعتام ما انت طاعليه الادارة تطلب منه والدنيا ذلك وصالحة غير فضاء الله طالبا وسأساعده على ذلك والبين لهم عنه سوف لزيارة تلك المدينة الخالدة .

كان الحديث جميلا والليل ساكنا هادئا وليس من احد في البيت ووالدانا قد ذهبا لزياره احد رجالات القريه الذي ناجاه المرض ونحن لا نشعر بمرور الوقت وما زلنا ساهرين حتى تكبد القمر السماء وطل علينا الملاك العاشق الوله وصحونا على صوت امنا تنادي -

— دعاد - عماد ابنه اننا يا ابنائي تعالوا اجري لكما؟

— اسمع يا عماد انه امنا تنادي الا تسمع -؟

— لا اسمع شيئا يا دعاد -

— اذن نلتمس عذرا - انك بعيد بانكبابك عنا - اصغ الى صوتها انها تنادي - حيا يا عماد نلبي ندائها.

— اصغ يا دعاد ، اصغ قليلا -

— عماد ولدي دعاد يا ابنتي ابنه اننا - ماذا اجري لكما؟

— حيا يا عماد اركضا له كفاحا بكاء وجريه.

— حيا يا دعاد

— دعاد، عماد الحمد لله الذي وهبنا كما اخيرا الم تسمعا نداء امنا كنتما لقد رن ساعه وتحن نبحث عنكما.

— ولماذا اياد هام؟

— كيف تسأل يا عماد هذا السؤال؟ لقد جاوزت الساعه الحادية عشره لقد كنا اصدقاءه بعد انه بحثنا عنكما في البيت ولم نجد لكما اثرا.

— لقد كنا على السطح نتأمل جمال القمر ساحر وانت تعرفين اننا افضل الجلوس هناك لا نستمتع بالمنظر الخلاب ومر الوقت دون ان نشعر به

— وماذا كنتما تفعلان به يا بني؟

— لم نكن هناك ما نفعله غير الحديث شغلنا عن كل شيء.

— وماذا قلتما؟

— هل حقا يا امي انه عماد سيذهب الى القاهره؟

— ولم لا يا حبيبتي؟ لقد اصبح عماد رجلا وبامكانه ان يعيش بعيدا عنا ولم لا يذهب للاكمال دراسته؟ الا توافقين على ذلك؟

— انا نفعه طبعا ولكن مده طويله نفتقده قبل اربع سنوات يا امام كيف نصبر عليه بعده؟

— انه الايام تمر بسرعه يا بنيتي ولم نشعر بها ولكنه حيا الله الى سريركما فقد اتربت منتصف الليل.

وغت نوما عميقا رغم بعض القلق الذي تخلله والذي كنت انكر ابانه في سفر عماد وبعده عنا ولكنه عماد ومستقبله فوق كل شيء فكيف احرم منه اما انا فأعود الى المدرسه وعامانه بسلام واعمل على اسعاده كما عمل علي عماد. لله الامر من قبلي في الجامعه بل واعمل مدرسه بعد تخرجي - واعمل حقا في المدرسه الريفيه مدرسه القريه التي ابعدتني عن طفله ثم اعادتني اليه شابه ، ومضت الايام ووجدت نفسي اقترب من موعد الامتحان النهائي ولم يبق الا شهر واحد على تقدم الامتحان وانا مزعجه بعادي والجميع يشجعني على ذلك حتى عماد الذي يبعث لي كلما عطرف برسائل الحب والاخوه والتشجيع وتقدمت الى الامتحان لتقدم الواثقه من النجاح وانتظرت النتائج بمزيد من الصبر والامل وظهرت النتائج ودون ان يكون لنجاحي اي طعم بل كأنه لم النجح فلم تكن تلك الفرحه التي استقبل بها نجاح عماد تعدل الفرحه التي استقبل بها نجاحي بل كأنه الايام ضنت علي بالفرحه فلتبخل وفي يوم من الفروض ان يكون من اسعد الايام جاءتنا برقيه من القاهره

ولم تطفأ والدي على البرئيه ازل الاسر وظل يخفي سرها في نفسه حتى كاد ينفجر و يخبر زوجه حزنه ولاشدي له سبباً ولشد ما رخوته وامي ان يطلعنا على ما في صدره حتى تخفف عنه ولكنه ابى واجهنا وتحاملا مع الحزن والالحاح ، حزب العشيله التي اصابتنا بسقايا جائحة العصيم ، واحزنه والهضه ملوبنا - عماد - عماد مريض والمرضه الخبيث الذي اصابه - حرام انه يصاب عماد بمرض العلل - كيف - كيف يا عماد وانت وحيد تصاب بالمرضه - كيف حصل ذلك ؟ لقد فاجأ المرض اثناء الهاجره ونقل الى مستشفى العصر العيني واسرع اجتماع لجنه الاطباء بعد فحوصات متتاليه على انه مريض بالعلل - مكيف يا عماد - مكيف يا اخي - لتعاودت الي الاحزان يا الهي بعد ان ظننت انزل ثار فتقي الى الابد من يسهر على راحتك - كيف نفسيه ؟ هل تتألم ؟ ليتني اتألم نفسي للمرض بدلاً منك ، يا للفرحه التي لم تكتمل - لقد تبدلت الحزينه ودموع الهناء - والاخ الوحيد الذي احبني واحببته مريض ويتألم ويح نفسي كيف ارثه للمرض الخبيث انه انت يا اخي ايه لا نتألم لاننا لا نستطيع ان نزاله نتألم -

ومرّ والدي السفر الى القاهره ورجع وتركنا على لهيب النار نكوى - نسهر الليل عضلي ونتلو الله ان يشفي عماد من مرضه ومضت لهم ايام على سفر اني الى القاهره فاستقبلنا بوجوه طافحة تأمل على ان عماد يجيد الاستجابه لبعض الراحه ولكنه الحقيقه غير ذلك والحقيقه ان عماد يتألم كثيراً ويتوجع اكثر ومتأثر الاطباء لذهاب عماد الى لندن واخذ والد عماد عنادته اشهر الاطباء المختصين في البلد حتاله وذهب وعماد الذي بدأ يشعر ببعض التعب الى ارض الضباب .

لم تكن الرحله بالسهله لعماد اكثر من رحله استجمام ومتعه فقد كان يردد دائما ان الياس مع الحياه والرجاء مع الياس ، ولماذا الياس وحتاله الامل ، وعرض في لندن على احد الاطباء المختصين بعد وصولها حتاله بيومين وبعد الفحص الدقيق طلب البروفيسور الطبيب ان يزوره الراحه الآتيه على ان ينتظرهما يوم الاربعاء القادم - وفي هذه الاثناء تعرف عماد على كثير من معالم لندن - التي مرّ عنها كثيراً ، الارصفه التي لا ترى الشمس الا لماما وكثرة جو المدينه مناسب صحته فتحسنت تماما حتى كانه لا يشعر بالمرضه الذي يكمن في قلبه وجاء الموعد الموعود اي يوم الاربعاء ، فاستقلا سيارة الى عيادة الطبيب ، وحتاله قام الطبيب بفحصه مع اتيه من اصدقائه المختصين بنفس المرضه كذلك ، وقرر الاطباء اجراء العمليه بعد اسبوع -

كان الامل كبيراً في نجاح العمليه اذ ان المرض لا يزال في طوره الاول ولكن والدي كان غير مطمئن الى النتيجه عكس عماد الذي كان يأمل كثيراً في نجاح العمليه مائه بالمائه - اما انا واخي فقد كانت الصدمه اكبر من ان نحتمل - اذ كيف سنكون بدون عماد ونوجد الامل طريقاً ضيقه الى نفوسنا اول الامر ولكنها اتسعت حتى ملئت بالحرائيل منذ ان بدأ الامل يتعثر في نفسه الى ان اختفى جميعنا بسفر عماد واخي الى لندن ومرت الايام والاخبار ترد بان عماد قد تحسنت صحته ولكن هل تصدق كل الاخبار ، الا اذا زارك بنفسك رأى العين -

وتقدم عماد الى غرفة العمليات بقلب جريء وهو موقن بقوله تعالى " قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا "

وهذا أبي ينتظر امام الغرفه بقلب واجف وعينين دامعتين منذ
ساعات مرت والغرفه مغلقه ولا يسمع الا همس الاطباء
والممرضات واخيرا اطل وجه الطبيب عابسا مكفهرا فنهض مذعورا
قلب المسكين الذي ينظر وسأل بلهفه —
— كيف النتيجه يا دكتور ارجوك؟
— اهدئ يا سيد محمود.
— انني مشرف على معرفه النتيجه.
— لست الابن.
— ولماذا ليس الابن؟
— انا لم ننهي العمليه بعد
— للام لا اعلم شيء قل لي ايها العمليه لم تنجح، لماذا تخرج النتيجه
عبر والدا المريضه ارجوك يا دكتور اخبرني مهما كانت النتائج.
— لماذا لا تصدقني يا سيد محمود انه العمليه لم تنتهي بعد ولو كان
ضالته اذني شيء في فاجعل لقلقك لله ذالك قبل الذهاب —
انت جاهز الى الراحه الان اذهب لتستريح قليلا؟
— لا لا استطيع ان ارتاح وعماد بنا لم يخرج من غرفه الاطباء
وساء ظنهم كيف ارتاح وكيف تجد الراحه طريقا الى قلبي —
— سيد محمود وصل لله ابناء عن عماد.
— لماذا تسأل؟ هل اصاب عماد شرا اذهب فقد ذهب عماد — لماذا
لماذا يا الهي تخذلني؟
— لا لا يا سيد محمود انا لا اقصد ذالك بل اسأل لاني اجد له
مقلقا على عماد كثيرا.
— وكيف لا اتلهف عليه وليس الي غيره من ابنه وحبيبه.

— اذا هذا هو سر لهفتك عليه؟
— لا تظنه انني اتلهف عليه لانه وحيدي فلو كان لي عشره ابناء لكانت
لهفتي عليهم هي نفس لهفتي على عماد أنهم الابناء يا دكتور لم نجرب
الامومه —؟
— وهذا صحيح ولكني اطمئنك على ان عماد لم يصاب بمكروه
— ارجو ان يحقق الله سبحانه وتعالى ويرحمنا وينجي والدي عليه
براثن المرض.
— ألا تذهب لتستريح نصف ساعه فقط هنا لك مقهى قريب من
هنا اذهب اليه واستريح.
وذهب وكان قلب الطبيب كالبركان امرأ ذهب دون ان يشعر بقدميه
تسير على الطريق — ووصل دون ان يدري كم مر عليه من الوقت ووصل
اخذت الطريق منه دقيقه ام عشرين — وكل عقله وقلبه هنا له مع
عماد في غرفه العمليات — وجلس على اول مقعد قابله وكان ينوء
له نفسه وهموم العالم بأسره تطل على رأسه فكأنه وضاغه كالقابل
تذكره كما تذكره الاسوار والبنايات — وانتفض حين احكانكم اصابه من
وصول الى المستشفى مسرعا نحو غرفه العمليات الغرفه التي وقف
امام بابها ساعات طويله، وكان شيئا عدته بأنه ليس هنا له احدا
بالباب مفتوحا والغرفه خاليه منه اي انسان وكأنه لم تكن هنا بالامس
قبل لحظات — وراح يركضه كالمجنون منه هنا الى هناله يبحث عنه
ولده كطائر طفق يجوب الصحراء ليبحث عن قطره ماء واحدا
عثر عليه في الغرفه التي فحصت له، لقد اشترى كل شيء، واعاده
الى غرفته ووقف امام الانسانه الذي عاش حياته بكد وتعب
سراجله، وقف ولسانه تتلو الآيات والدعوات بالشفاء —

وعاد لا يشعر بما حوله ولا يعي شيئاً من امور الدنيا التي يعيشها
هناك الى آثار البنج المسيطر عليه - ولم تكن يردد إلا اسماً واحداً
بصوت خافت غير مسموع - ووالدي يحاول انه يلتقط الاحرف
ليجمع منها ذلك الاسم ثم يفلح في ذلك وحينما قرب سرير عماد السلطان
الطويلة رغم محاولة الاطباء ابعاده عنه دون جدوى، انه يريد
انه يكون اول انسان يقع عليه عيناه ولهذا حبيبه يصحو - لا يريد
لعماد انه يرى انساناً غير انه يرى وجه والده الذي يساعده
وتعطيه القوة والصبر - انه يريد انه يكون هو اول من
يستمع الى كلمات ابنه الاولى بعد العملية، لقد اخبرهم الطبيب
انه الخطر سيزول خلال اربع وعشرين ساعة وبعدها ستظهر نتيجة
العملية تماماً وانني يلزمني بالدعاء لوحيده بعودة البصر له ومن
اثر الحزن - ومرت الساعات وكانت ايام اذ تشعر والده
ينتظر وينتظر دون ان يذوق للراحة او للاكل طعماً - ودون
ان يرتوي بأي نوع من الشراب وليس من شأني الوقت او الدقائق
الذي ينتظره بفارغ صبر وان تقترب لحظة الرجاء سعيداً
تحمله الممرضة ولتنطق انكلمة السحرية -

— دعاء —

— ولدي حبيبي انا بعلمه —

— اسمه دعاء!!؟ اريد دعاء!!

— انت صح يا حبيبي —

— انني اراه يا ابي ولكنني اريد دعاء والديه -

— حالاً يا حبيبي ولكنه تتابع الى الراحة الآن

— الراحة هي انه اجيئكم الى جانبي.

كيف انت يا عماد؟ سأل الطبيب الذي دخل في الحال.

— بخير.

— هل تشعر بألم؟

— بعض الشيء.

— ما رأيك في الفحص الآن؟

— كما تريد.

— يبدو انه بصحة جيدة وهذا دل على ان الشفاء قريب
عقلياً وذلك بسبب بعده عن الدوامة.

— اذاً فقد نجحت العملية يا دكتور؟

— طبعاً يا سيد محمد وسأريه الصور بعد اربع ساعات فقط
وانا آسف سأقوم بفحص عماد مرة اخرى.

وتم الفحص وعاد الرجاء والامل الى قلوبنا عندما ارسل والده
يرسله يخبرنا بنجاح العملية وبعودة بعد اسبوعين -
كانت الانتظار بالنسبة لنا في الغرفة مضنياً وكنا نستعد للاستقبال
عماد ونتوقع مجيئه في كل لحظة، وعاد الابتسامة الى الشفاه عند
عودة عماد - لقد مرت الساعات ودون ان يراه لقد تغير كثيراً رغم
الرصيد الذي اصابه والذي كان يتفاداه منه بهدوء السرعة معجزة ورغم
ذلك فقد كانت صحته كما هي ما تكون، لقد امتلأ جسمه وبرقت
عيناه، حتى الجمال الذي كان يحاصره عندما رأيته لاول مرة قبل
ثلاث سنوات اصبح يسير في ركبه مصاحباً له - عاد عماد ليس
البيت صغير جديد وعادت السعادة الى والديه الحلوة الى
الغرفة ووجد طريقه الى نفوسنا التي مرت ثلاث شهور كاملة
وبدأت الزائرين تتقاطر اصحاب المادية لعودة عماد بعد

بعد العذاب واستفادم بعد المرحمه واتيت الاوراح والوالد
مرحبه وبدأ عماد يحدثني عنه كل ما حدث له وكل ما رأى من
اشياء فاصبحت ارى الدنيا بعينيه واعاقل بذلك بيه وحسبته
لايجب بغضه ولاينبغ معنه الى ان جاء يوم وغضب بسبب
بعض الاشياء التي تذكرنا وتظلنا غصونك لتحميك
وتحجبنا عن الشمس الحارقه، لوح لي بيده ان اكف انكريه
شيئاً لم اكف الوقف لانه كان بعيد اعني كل البعد
لانني لم اره لحظه واحده منذ وقتي، لقد تغير عماد وحدث
له امر غريب، لقد اصبح الشاب الخجول جاداً في حديثه
جاداً في لهجته ونظراته، وشدت الدهشه لساني
لسماع حديثه، وطفرت الدموع غزيره من عيوني - كيف لي
ان اصدق هذا الامر او اراه عليه

لقد بكيت طويلاً ولم اصدقه قوله - كنت احبه في لحظات
لحظات المداعبه الاخويه - كيف ينقلب الحب الاخوي الذي
يربطني به الى نوع آخر، حب تتمثل منه الرجله
في الاستقلاله حب يبعث عنه كل شاب وكل فتاه ولم اكن
اظن ان عماد هو الذي سأختاره حبيباً لقلبي - انا احب عماد
قيثاره ينبعث على انغام قلبه غريبانه - وكيف سأكون ناكره
لجميل العائله التي حمتني من الشر وضمتني اليها من الصغر
حل اخوته ذلك الاب الطاهر وتلك الام الطيبه حل
اضيع مستقبل عماد بطيشي وحبي - لا يا عماد - ارجوك
ابتعد عني - ارأيته دعاء وشاهد ماذا سيقول اهل الغريه
عني عندما يشاهدون تردد هم بعد ان قذفوا الرجل المعروف

عادت لتطمئنهم وتخلف انظارهم. كيف يكون ذلك يا عماد، هل
جننت يا اخي اسير اليه الذي اوشك على الاخوه والوفاء
وسرحت في الافكار التي اجهدتني حتى سمعت نائلا

— دعاء ماذا أليه؟

— انه تطلب مني المستحيل يا عماد.

— ولماذا؟

— لان الناس الذين اعيش معهم لم يعرفوا ان عماد
هو الذي اغتصب حرية قلبي.

— وما شأن الناس بنا؟

— المجتمع لا يرحم يا عماد - هذا يقولون اني لم اوافق على
العيش مع الا لاصطاد الاب الوحيد لو الدته.

— هذا تفكير اطفال لا يعرفون الحياة.

— بل هو تفكير مجتمعنا الذي نعيش فيه.

— اذا كان ما تقوله هو تفكير المجتمع فانه ولا شك مجتمع
مريض.

— لا يا عماد ان احداً لا يعرف بانه يعيش في مجتمع مريض.

— ان ما اطلبه منك ليس للناس فيه شأن وانه ليس بالحرام
اني اطلب منك الحب الذي حرمت منه اياماً وليال.

— وصرت له اني لا احبه؟

— اذن نانت تحبني وتخفين الحقيقة؟

— لست اخفي شيئاً - بل كنا نعاهدنا فانت اخي والواجب يحب
اخاها الين كذلك؟

— وصرخ له انه ذلك العهد المحرم علي ان عليه ان نتمتع بالحب

— العيب الذي اقسناه .
— لقد اقسنا العيب على الوفاء والوفاء هو الحب .
— والاجود ياعماد .
— كلمة لا تنطق بمعنى الوفاء والحب شيئا وانا احبك منذ اليوم الاول الذي رأيتك فيه بل وقبل ذلك، اي عندما عرفتني اني منك وتلهفت الى لقائك وتشوقت الى رؤيتك ثم كانه اللقاء فاحببتك ولشدما تعذبت ايرابيع لك يا سراج قلبي ولكني كنت اقول انه الاوان كفيلة بأن تزيل من قلبي حبي . ثلاثة عشر كي تلبي تتعذب يا دعاء يا كل املي —
— سيكون يا عماد . سيكون انه اجمل البيت الذي ربانا .
— ولم تحزنني ستتزوجه يا دعاء وستكون اسعد زوجين في الوجود .
— لازلت اعتبرك اخا .
— ولماذا لا تعتبرين قطبيبة او حبيبة الم تقرأي قصتي يا دعاء الم تسمعي الاشعار التي اردتها — انزالك، والله وحدك كانت ملهمتي بل جميعا وانت الزهرة التي تحوم حولها العبارات الحلوة وانت القمر الذي ينير دجاها فتجيلك الله قطعة من لهبه الرائع الجميل
— ووالدنا يا عماد ماذا يقول لانه لو عرفنا ذلك ؟
— انه يقول شيئا ستكون حتما موافقتك اجمل جذابا لنفسه لرجاحتها وعلمه انه على كل شيء ، وانت وحدك التي تجهلين هذا فقط
— كيف تعلم انه ذلك وانت قد خبأت شعري ؟
— لقد عرفت اني كل شيء بعد ليلة طويلة من السهر والتفكير لم استطع تحمل الم الكتمان ولا حفظ شيء ذلك وما زالت تلح على حتى

اطلعتها على كل حالتي ولا تتصوري كم كانت مرحبة عندما رأيت السعادة تغمرها والبشر يعلو وجهها .
— عماد عماد انت مجنون انه مجنون
— نعم انني مجنون ولكنه مجنون والسبب في جنوني هو انت انت يا امل الحياة ومنزل الحب انت يا قصة الخلود ولحن الجمال الابدي الذي لا يفنى .
— كفى كفى يا عماد ارجوك لا تزد جروحي ايلاما .
— ولماذا يا دعاء هل ضاقت صدرك بسبب ؟
— لا .
— اذن فلماذا ذا رفضتني حبي ؟ لا بد انه ضاقت امرأة احظى مما كنت اعتقد . لماذا لم امت ذلك عندما رأيته انه تجبيه شخصا آخر يا دعاء قولي عاد حبيبي هل تحبين احدا ؟
— لا تظلمني يا عماد فانا لا اعرف احدا ولا احب احدا ولست احب سواك ولكنك جبت الاجود .
— وسيتحول هذا الحب العذب الى الحب الذي اطلبه واحتاجه وارجوه انه لا تقضي على به

ولم اغمض عيناي تلك الليلة — بل بقيت مسهدة الجفنين افكر في حياتي — ترى اي ابيه اسيد وكيف ستكون الزاوية ؟ انكر في كلام عماد الذي لم اسمع مثله من قبل — انه كلام لذيذ كالعسل عذب عليه اذني لاول لم تعتاد لقد كان بالنسبة لي ناقوسا يدوي في عالم الوحدة والعراء — لقد كان قلبي قاعا لم يغزوه احد في لحظة واحدة حول كل شيء ، تزاحمت العواطف على بابه وفصد احدى سيكون عماد بعد اليوم ؟ وكما اعلم لي حبيبي اذا وافقت ، ترى هل سأحبه

كما اجبني؟ام انهم الحب الاخوي سيتغلب؟ لا بل اشعر منذ
اللحظة التي فاجأني فيها بالخبر انه الدنيا قد تغيرت فانا اريد
انه اسرد انه ارمقه واغمني انه يحبني في مرضي رغم
الدهشة التي جرفتني الى صمم امامه - فما دام هو يحبني وما
دام والدام يوافقا على ان تتبادل الحب فلم لا؟؟ ولكنه
لاحظ لعماد انني لا ارغب منه كزوج لي لاري ما يكون
فايه كان يحبني حقا فليتردد امامه في الحديث الي وإلا فانه يريد
اللهو وقتل الفراغ فقط -

X بدأت اختفي عن نظر عماد فإذا ما دخل البيت خرجت منه واذا
ما اراد الحديث الى او السهر معي ادخل غرفتي واغلقه الباب
من الداخل وانظاهر بالمرض اذا كان وجودي على مائدة الطعام
سيكون معي وفي لحظة وله تبعني عماد الى غرفتي دون ان استجيب
وما ان دخلت حتى اوشكت على اغلاق الباب إلا وقد سبقني بيدي
ثم هجم ورفعه واغلقه الباب وبقي ما تزال ممسكة بيدي بأدم
مرتعشة واجلسني على كنبة في احدى زوايا الحجرة وجلس بجانبي
ولاول مرة ارى الدموع في عينيه والتفت بأدعه محياه وانقبض
صدري فاوشكت ان استأذنه ادعه ولكن الاباء دفعني الى سؤاله.

— ما بالك يا عماد؟
— لا شيء.
— هل تخبئ عني امرا؟
— قلت لك لا شيء.
— وما الذي يبكيك ما دمت كما تقول؟
— احس بان الكلام تقطع قلبي -

— ربما ماذا اقول يا عماد؟
— اجل يا عماد هو ما سمعت انه الكلام تمزقني واخاف ان
يجاوبني ذلك المرض.
— لا تقل هذا يا اخي.
— واكثر ما يزيد المرض هو قولك يا اخي
— وماذا تريدني ان اقول؟
— لقد عبرت لك عن شعوري مرة.
— انني اخاف هذا الشعور واخافه.
— الا تحبيني يا عماد؟
— يعلم الله كم لك في قلبي من الحب.
— اذن لماذا تعذبيني يا عماد؟
— انا التعذيب يا عماد.
— التعذيب!! الحبيب!! كلمة بشعة. وهل المحبون يحتم
عليهم ان لا يراك الا ايا ما رغم وجودنا في بيت واحد؟
— وكيف ذلك يا عماد؟
— اسألي قلبك ولبك.
— لم افعل شيئا.
— سكينة والهروب مني وحبي كل هذا والابتعاد عني انه هذا
لا يعتبر تصرفا شاذا في مثل سني.
— لم اقصد في ذلك الهروب مني.
— او تقصدين الهروب من الشيطان؟
— لا يا عماد ولكنه اذا كان يضايقك لا يريد ماذا تريد الحب
انه افعل ليس عليك الا ان تأمرنا اطيع.

— اريد ان اراك كل يوم ان تملئي حياتي بالامل وطريقي بالازهار
الا تريد اني مذ ذلك اليوم باعرامنه عني ماذا تريد
ان اعود له بعد هذا؟
— لقد قلت له اني لا استطيع الا ان اهدم البيت الذي ربياني.
— وهل يكون هدم البيت حلا لهذه المشكلة؟
— وكيف يكون اذن.
— ان تواتقي على رأيي، وسنفعله هذه الليلة يوم الخميس القادم ان
وافقت على ذلك - ماذا تقولين؟
— اعطني فرصة للتفكير يا عماد.
— كم تحتاجين الى التفكير ساعة - ساعتان ام ثلاث ساعات؟
— لا تحرجيني يا عماد.
— اذن فانت توافقين على طلبي؟
— لا ادري.
— التردد معناه الموافقة تقريبا. قولي اني موافقة قوليها.
— اوافقه يا عماد انه كان صديقا عزيزا.
— لا اريد ان تقوليها بلسانك. اسمعيني صوت قلبك - حياتها.
وضغطت بحنان تأثير كلمة الحلوة وهتفت.
— احبك احبك يا عماد ولا اقوى على بعدك.
— عماد عماد —
— اجل يا اني.
— السلام لك على صديقنا؟
— اهلا بالصديق سامحهم يا اني؟
— نعم دعاء وابنها عماد

ودموعها تنهمر وشعرت بذراعي العديدة تعود لتطوقها على غفلة منها
جديد، ولماذا بأنها في هذه اللحظة بالذات هل يبقى
للعدو سحر تأثير يبقى اقتصاصهم مني - اظنه ان ذلك هو السبب
ثم سحب عمي وابنه عمي
ماهذا القلم الذي اشعر انه يلاحقني ابدا ما كنت وعيت ما حلت الم يكفيني
منه ما قاسيت حتى جاء ليعذبني المزيد سوسه وشغل والدي يعويل اي عزته
الحلوة حيث يوجد عمي وابنه عمي، ودخلت الغرفة والحقد يكاد يلتهمني على كياني
لماذا اتوا؟ ما سر ذلك؟ لقد حبلوا وجودي وانكدوه وانا بجانبهم اليوم
عذبتني طفلة، ولم يحبوا بوجودي الا الذي عيت كيف واعيدي الحلم
عبر الحاجز فبدأوا يبعثونه عني ودخلت الغرفة بعقل مضطرب وقلب واجف
وانكار تملأ دماغي -
— مساء الخير.
— مساء الخير يا دعاء ردد عمي بصورته الدبش وبلهجة اراد بها الطيبة رغم
الغرور الشاسع بين ما اراد وبين ما يبدو.
— لقد كبرت يا دعاء. قال ابنه عمي -
— وماذا تريدين ان اكون؟ طفلة تقبع بالبيت. كانت اياما تشردي
وطفولتي، وكان عمي لدغته عقرب تاهقر وجهه ودموعه ان يتكلم.
— الا تسلمي يا دعاء. قال ابي - لقد مر وقت طويل على بعدك عنا.
— لا يا اني. انه الدهر الذي قضيناه محرومين لا نزال عالقة بنفسي كانه لم تكن
الا بالامس، اني لا ازال اذكرها بكل صغيرة وكبيرة.
— دعاء نحن لم نأت لنتحدث عن الماضي.
— لقد جئتم لتذكيري به.
— لا يا دعاء - لا يا ابنتي - قال عمي وقد تغير صوته وكانه خشية ان يدا

صادتنا اننا لم نأت لنعيده إلى الماضي الذي عشناه بل لنطلب
اليه العوده الينا باسم القانون وباسم الدم والقرابه.
— واي قانون هذا الذي تتحدث عنه؟
— الا ترغب في العوده الينا يا دعاء؟
— لست راغبه في هذا بكل مصدر انتم.
— اعقلي يا ابنتي وحدثي ابا دب امام عمله وابيه عمله.
— اسمع يا ابي واجبني. لقد تركتك صغيره فماذا عملت
بكبرت وقدرت عله العمل جادلي باسم القانون وباسم القانون
الذي تتحدثان عنه؟
— يا دعاء يا ابنتي لقد رأته ابيه عمله هذا وانت تشيرين
الى المدير وسألني عنه لانه اعجب به فأجبته بانك
ابنه عمه فاستغرب وجوده هنا فشرحت له سبب مجيئك
فغرر عليه ان تكون له ابنه عم ولديه مثل وجادلي ليتعرف عليك
ويطلب اليه العوده إلينا اذا شئت.
— اعود اذا شئت — نعم اذا شئت ولكنه لن اعود لاعيش معكم
ووالدي واخي الذين عرفتهم وعشت معهم اتركهم هنا لا استطيع
مفارقتهم ابدا اذا كنت تريدني محللا فلا مانع لدي من ان اذهب لكم
كل شهر.
— كل شهر!! قال ابيه عمي يا استغراب.
— اذا كل ستة اشهر!! ثار أيله.
— لا يا دعاء لن نستطيع تحمل ذلك ارجوك زورينا كل يوم بل كل
ساعة او دقيقه
— انك تطلب المستحيل.

— ولماذا؟
— لانني لا استطيع ذلك فانا اعمل وليس لدي وقت اقضيه في الزيارات.
— وهل تعتبرين زيارتنا من الزيارات؟
— دعا.
— لا تقلقينا يا دعاء بل ارجوك ان ترحمينا.
— وما هي الرحمه عندكم؟
— الرحمه ان لا تغدني قلوبنا وان تزورينا ولو كل اسبوع مره فنحن
لا نطلب اكثر من هذا.
— اسمع يا ابيه عمي سأزوركم مرتين في الشهر فما رأيك؟
— اذا فعله ولو ان ذلك لا يكفيني.
ودخل عماد للمره الاولى ليتفقدني من الوريطه التي وجدت نفسي عالقه
في شباكها.
— نعم سنزوركما يا سيد ابيه وهذا اسم عمي.
— اهلا وسهلا.
— وبريد المناسبه ما رأيك يا اني؟
— بماذا يا عماد.
— نفس الموضوع الذي تحدثنا عنه.
— انقصد الخطبه.
— اجل
— اذن فاعلم يا سيد ابيه اني اتقدم اليه نعم انه دعاء ابنتي وعماد
حوا بني اني اتقدم اليه طالبا يد دعاء الى وحيدي الذي
ابيه من اجل يوم مزحه. الى عماد.
وكأنه الخطبه كانت صاعقه وقعت عن رأسيهما ونظرا احدهما الى

الآهة والغضب ظاهرة في عيونها ، فكانت ضربة لآمالهما التي عقداها على تلك الزيارة ، لقد جاءا وفي رأس كل منهما خطة لإعادتي وإعادتي إلى حظيرة الماضي ، واستقلالي بالعمل والزواج من ولد ابن عمي ، ونظر كل منهما إلى الآخر نظرة ذات مغزى ، واجاب عمي :

- نعم الزواج لدعاء ، هو عماد يا حاج محمود ، ولكنه ألا ترى أنها لا زالت صغيرة على ذلك ؟
- وما الدليل على ذلك ، إنها في العشرين من العمر ، بل
- لا أحسبها أنها أصبحت في العشرين ، فهي لم تتجاوز السابعة عشرة بعد
- هذا دليل على أنك تجهل عمرها تماما . ودليل على ثيابك للسنوات الثلاث التي قضيتها معنا .
- لم أنس شيئا ، اما رأيي فإنها لا زالت صغيرة على الزواج .
- على كل حال إنني ارغب في تزويج دعاء من عماد .
- قل إنك لا ترغب بي إلا لاستغلالها .
- وما شأنك بهذا ، ولم الجدل ، وهذه دعاء ، فلتسألها رأيها
- رأي ماذا ؟
- إذن فاسألها انت حتى تجيب وتستريح البال .
- ما رأيك يا دعاء ، ما رأيك يا ابنتي .
- في ماذا يا عمي ؟
- ألم تسمعي الحديث ؟
- لا
- إذن فأنت تتجاهلينه .
- لست اتجاهل !

- ولماذا تمتنعين عنه الإجابة ؟
- إنه وليد ابن عمي ، ولم يسبق إليّ لحظة واحدة رغم اساءتك انت وجدتي .
- تلك ايام يا دعاء لا تعودي الى ذكرها .
- كيف لا اعود الى ذكرها ، ولا ازال اذكر ضرباتك بجدتي .
- لقد كانت رحمها الله عزيزة الطبع .
- إذن فلقد عانيتِ
- اجل منذ سنة تقريبا .
- ولم تالي على القاسية .
- انتهى يا دعاء كل شيء . والآن لا تزال تنتظر ردك .
- فأنت تريد ردي ، وتود معرفة رأيي
- نعم هذا ما أتمناه .
- اقول لك يا عماد ، انني لا أتخلى عنه ابن عمي وليد ، رغم بعده عني ولكنني لا اتخلى ايضا عنه عماد ، وهو الذي عشت معه اياما جميلة لم أر اسعد منها ، وهذا اجيب مع أنه قلبي قد اختار انسانا واحدا ، قضيت معه اكثر من ثلاث سنوات ، وانا اظنه انني سأبقى اخته ، وقد تغير كل شيء ، وخفق قلبي بحبه ليكمل معه قصة القدر .

وتدخل وليد في الحديث قائلا :

- مبروك يا دعاء - الف مبروك . اتمنى لك التوفيق من كل قلبي ولا تنسي أنك وانه فقدت اختا فلا يزال هنالك اخ يعطف على اختك .
- اسكت انت يا وليد ،

ولماذا يا أبي؟. أليست دعاء كأختي؟

كلمة ذات لحن غريب ألقاها وليد، ولم يملك عمي الأسير يبارك الخطبة على نفسه، واستأذنا في الذهاب بعد أن أخذنا وعدًا منا بزيارتها كل أسبوعين.

أعلنت خطبتي رسميًا، وأقيم حفل ضم جميع أهل عماد وجميع أهل القرية الذين شاركوني الفرحة. لم يحدث ما كنت أتوقع، فقد فرح الجميع، وهذا ما كان يبدو لي من نظراتهم وحديثهم الودي، وبدأت أشعر بجمال ما حولي من مناظر وأشياء.

فالزهرات التي نقوم بها أصبحت تملأ قلبي بالحب والحنان والذكريات الجميلة التي كنا نقضيها معًا، وقد بزغت بوعدي، وزرت بيت عمي عدة مرات مع عماد الذي لم تكن تروقه تلك الزيارات.

بل لم تكن يذهب إلا له إجلالي وخوفًا وخوفًا عليّ،

وذات يوم كنت قد نفيت لزيارة بيت عمي وذلك بعد حوالي شهر من اللقاء الأول، واعتذر عماد عن ذلك لأنه عليه العمل، فيجب أن يُنجز اليوم، لقد كانت صوته الحنون يرتجف وهو يقدم اعتذاره، حتى كأنه أذنب في حقي، وسألته رأيه في أن أعدل عن الزيارة في ذلك اليوم، وليتني فعلت، ولكنه عماد لم يعجبه ذلك لأنه أخبر وليد بزيارتنا.

سرت في الطريق الخالي وحدي، لم تكن عماد الذي كان يملأ جو الطريق بالجمال والحب يسير معي ليخفف عني وطأة الوحدة ليته ذهب معي، أو ليتني طاوعت قلبي ولم أذهب، لقد كان عمي ووليد يتحينان فرصة عدم قدوم عماد معي حتى يضربا الضربة

دخلت البيت واستقبلتني زوجة عمي بابتسامة الثعلب وسألتني عن عماد

فاعتذرت عنه بمرارة ورأيت الفرح يبدو عليها رغم تظاهرها بالأسف على عدم حضوره وتحدثنا قليلًا وسألتني عن وليد وعمي فأخبرتني أنهما ذهبا إلى المدينة لقضاء بعض الأمور، وكأنني بت الزيارة على الأرجح، لقد كانت زيارة أحسبني بثقل حتى ظلت تقضي ثمان ساعات الوجود مع زوجة عمي وحدتين، هذه المرأة التي أدمت قلبي الأسوأ له والحيرة، ولنا أعلم ما ظنته عائلة المسكينة من المرأة التي لم ترحم ضعفي، وطوال مدة الزيارة كنت أحس بتوتر ما يجري بقلبي إلى الأعماق استغربت أنني أعيش في عالم كله رعب وشقاء رغم أنني كنت سعيدة بل سعادتي بعماد وبيني - بيني الذي أعبده كل صباحي - هو الملجأ الأمين الذي يحميني ويبعدني عني - ويبعدني عن الشرور والشقاء - وتذكرت وتلك المرأة بعض الأحاديث المتبادلة وكأنه في المكان عينه ما تثلبه لتتذر بالعاصفة - وسألت عن زوجة عمي التي طلبت إلي البقاء واختفت تعيين خروجي بنتي الوسائل واجتزأ رضخت لطلبها بعد أن غلقت الأبواب ودخلت وجدتني البقاء لمشاركتها بطعام العشاء لأنه سيعود موعد عودة وليد وعمي حتى يوصلاني إلى بيتي لأنه الشمس سارعت في الاختفاء وزاد الأمر مخاوفه أمام جوانح الظلام الذي أخافني وأرعبني.

وضعت زوجة عمي الطعام على المائدة وشاركتها إياه دون أن أعلم السر الذي دعاها الكرم الذي لم أعتده - لم أتناول من الطعام إلا القليل ورفضت بإصرار تناوله بذلك والحت زوجة عمي علي بالمزيد فلم أستطع لأنني وجدت في نفسي عزوفًا عنه ورفع الطعام بعد أن ملأت جوفها منه وأخذت تحدثني بزهو عن أولادها الذين لم أرهم بعد شيئًا -

أستيقظ في اليوم التالي على صوت عربة صوت طفل يقف بجانب

ينادي على اخته .

— تعالي يا جدي . انظري ! صبرحي جدة النيام ؟

— صبر يا وديع !؟

— لا اعلم صبرحي . انظ قيام يا اختي .

— وماذا جاء بك الى هنا ؟

— لا ادري .

— الم ترجالبك امس يا وديع ؟

— لم ارها إلا جزء اللحظة . انظري بكينه انظ جمعزاد اللون

— لماذا يا جدي

— لا ادري يا وديع ربما كانت مريضة .

وخرجت تاجل الاطفال ولكنهم اطمأنوا الى وجودي بعد ان لاطفتهم وحدثتهم قليلا .

— تعال يا وديع تعالي يا جدي .

— نعم . ماذا تريدين ؟

— اين انا ؟

— تقولين اين انا ؟ حتى معقوله ! انت هنا في العزبة !

— اعرف ذلك ولكن اين بنا ؟ وفي اي مكان ؟

— انت عندنا بالطبع الآن ؟

— وانتم في اي مزرعة تعيشون ؟

— مزرعة مزرعة ولماذا المزرعة نحن في مدينة ناجس اولست تعلمين هذا ؟

— لا اعلم ذلك اني الصغار .

— وكيف جئت الى هنا اذن ؟

— لا ادري .

— واسفاه ! ؟

— كنت في العزبة في منزل عمي ابيه .

— انه جدنا . هل هو عمك ؟

— نعم انه عمي .

— ولماذا لم يزالك عندما كنا نزور العزبة ؟

— لانني لم اكن هناك .

— ولماذا واين كنت ؟

— لم تفهموا جدي الآن وعندما تكبرون كلا كما ستعلمون ابراهيم في قصة هي قصة البؤس والبؤس . لا ابرح الزمان لا يزال الذي جعلني ولم ادري ما يريد .

— اذن جدي في عزبة ابي وقد احزننا ابي بالخروج من العزبة لانه يريد ان يعيد نزل في امرها . ونحن لا نعلم بوجودك هنا ومسرعين الآن لنعيدك الى منزلك الاصلي الذي تعيشين فيه .

— هل كان ابي مغلقا عندما خرجتما ؟

— نعم لقد كان مغلقا بالمفتاح .

— اذن فابي اراد كما كان يريد اخراجها سريعا .

اسرعت الفتاة الى وديع وجدها عمي وليد ليعيد اني الى بيتها في ذلك اليوم الذي كان عماد يجادلني به عن حبه ، وبت كانت آمالها هي اعادتي وتزويجي من وليد ولكن عماد كان اسرع منها في ذلك فتقدم لخطبتي التي كانت صفاتها تروقه . ومن اظهرا المرض وعلم ما يعيشه ابي من الكرب والحسرة وجاء في المرة عندما ذهبت لزيارتها وجدها ، وذلك الماكر الذي بعث تراءى لي

من وضعت الحرب أوزارها، وانقضوا على جميعا يرحبون بي العائد
من الحرب التي بعيته بكل عبيبي وأملي وحياتي —
واجهتني الأنانية وحبها لنفسها لا ترحم، ولماذا لم يعيشوا أعمالهم
قبل ذلك، لقد شربوا بأبأس الطيبة والرفاه ولم يخبروا مكوبهم
التي تقوم على العنف قوة وصلابة. وماذا أريد وسيف —؟ هل يريد
تزوجي منه وليد. وهو لهم — الجرمونة — البطولة التي أرضى بها —
لم أرضى ولو كانت أجمل شباب الغربة وأعاصرهم وأكثرهم علما —
لم أرضى بعماد بديلا — لم أجبهم أمام قسوتهم وعنفهم —
ولم أرضخ للإرادتهم فيها عقلوا وفيها قتلوا وفيها نالوا على أيديهم
من السعادة ما شاءوا لعماد وأجبت بكائي — ولكنه كيف
أعزيه بكائي دائما لإرادتي إلا أنني في مدينة نابلس وليس عبد الله
لكنه بالكاد يرضى أعماله ولم أقدم وسيلة أجبر بها عماد بوجودي —
مسكين عماد — كيف كانت موقفته عندما انتزاعوني فلم أعد — هل بكى؟
هل صرخ وتمرغ في الأرض لقدم وجودي الإجابة؟ هل ذهبت
لسؤاله عني وماذا قيل له وقت استقبال الخبر — مسكين يا عماد —
أنه لم تقود المصائب — أما أنا فقد خبرتها وتعلمتها ولم يعد
يؤثر في شيء، كانت الهموم والأحزان أصبحت من اعتيادي حتى أنها
ولم أعد أبدي، الصور تغشى بلا ساعة أو بلا يد كيف سألوني
ولم أيقدت عن الهموم التي أصبحت مني استمرأ حياتي ما قصة
صبورة — أما أنت يا عماد يا أخي ويا حبيبي، يا من وجدت بقربي
الهموم والأحزان — مسكين أنت. لم يا ألهي عرفتني بهدم العائلة
لكأنك أردت شاركني الأحزان التي لم تعرف إليها سبيلا إلا عندما
عرفت سبيلي إلى تلك العائلة — لا تحزن يا عماد واصبر — لا تقل
أنك قد ملأت الحياة كآبة لي مرة — لا تيأس من الحياة هذا
قضاء الله — أنهم يحبونني عليك ليزداد قلبي حبا وليتزاد عواطفي
نموا لم أكن أشعر بأنني أحبك بنفس الدرجة التي أحس بها
الآن فقد ازداد حبي مرات لا تعلمونه وقد تعودت الوجد بقربي
من الوجيه — لا وجعه بيته يا عماد لم يشعلوا أحد منها حاول أن
يبعدني عنك أو أن يحرمك بيني وبينك — ولا زال أجد الأمل
كبيرا في العودة إليك —

وقفت أراقب الكآبة التي أودعوه قلبا كبيرا وجنانا مريضا —
بيت مرتفع تعلوه الأسوار — لقد أكثروا أنكى في وصفي في هذا
المكان فأنا الأعنف في العالم الآن بل أعنف في محيط مغلق
الأبواب عالي الأسوار وأظنهم أنني لم أجرؤ منه إلا إذا ساعدت
الأشجار لي ذلك وجبت للأشجار التي أبكتني دائما أن تشاء وتشعر
بالدموع الساخنة تنسكب من عيوني — وبكيت ما شاء لي الله البكاء ودون
أن يخفف عني أحد — أين عماد أين أبي وأبي؟ أين أنتم جميعا أيها
الطيبون لقد أبعدوني عنكم — وبالرغم من علائق القلوب — فأنا
لقد أبعدوني عنهم أعلم وأدركه اليأس أن يخيم على مصيري وحرمت صاحبي
أسوار أمتار وصمات تأبى أن تحاورني. وأصغيت أسمع علي
أعرف محور الحديث — فلم أسمع إلا بعض كلمات منه —

— اسمع يا أبي أنه الليل يفعل العجزات —

— هذا هو الصحيح يا ابني.

— وفتح الباب ودخله عمي وامرأة هي أنيسة الكئيب الذي يعقبه من زوجه
في هذا البيت وكأنها وهذا الوجيه يوقظه من عكس ما كانا يتوقعانه
— دعاء — صباح الخير —

وبلهجة اردنية طيبة ليس فيها ما يدل على الغضب اجبت.

— اهلا عمي سباع الخير.

— كيف انت الآن؟

— بخير.

— ماذا تقول لبيه في وجود ولده هنا.

— والله انا؟ انني لا اعرف

— انت في بيت ابنتي في نابلس - في المدينة القطيع.

— وكيف ابنك الى هنا

— الا تذكرين؟ لقد حملناه إلى هنا بعد ان اصيب برصاص بسيط واحضرنا له الطبيب ليفحصه.

— وماذا قال الطبيب؟

— لم يقل شيئا.

— وكيف ذلك؟ لماذا اذا عاد؟

— قال انه مريض بالزائدة.

— وماذا اليها؟

— ليس بيده ذلك.

— وهل المرض خطير؟

— ليس خطيرا ولكنه الحل الوحيد لابد من اجرائه.

واظهرت العمة رغم عدم تصديقي لكل كلمة قالها فلم استغرب قوله ولم اكثر التفكير بالمرض مرة واحدة ولم يكن لدي اي شك في كذبه ليبرر موقفه وعدت لأسأله.

— ومتى ستجرى العملية يا عمي؟

— يقول الطبيب انها لن تجرى إلا بعد شهر.

— وهل سأبقى هنا شهرا؟

— اجل يا ابني لانه محتاج الى الراحة.

— وهل حتى غدا والذي وعدت بزيارته؟

— نعم. لقد ذهب وليد ليخبرهما لما كانت زوجتي عندما كانت ردهما جاهزا فاسيا لقد انكروه يا ابني - لقد هددهم ظني - انهم لا يريدون الا ان يستفزوا ولده.

— وماذا كان جوابهم؟

— لقد اجابه عماد بأن والديه قد ملا عشرة الفتاة التي لا تحترم احدا.

— سيكون ان يكون جواب عماد هكذا.

— بل وأكثر من ذلك لقد قال انني لا استطيع العيش مع فتاة لا تعرف لها اما ولا اما.

— لا لا ياعماه ليس هذا ما يقوله عماد.

— ألا تصدقيني يا دعاء؟

— لا أكذبه ياعمي ولكني لا اصدقه ان عماد يقول هذا الكلام ولن اصدق شيئا منه ابدا.

— اذن فانت تشكين في عمله.

— معاذ الله ياعمي.

— وبارك الله في عماد ووالديه الذين رفضوا اصدقائه وانت جاهز اليه. لو كانوا تجيبونه عقبا لما تركوه ولأتى احدهم مهنئا الى الطبيب ليطمئن عليه.

— اذن نا الجميع لا يحبونني ولا يحترمونني على الاطلاق وجودي بينهم فقط ولكنه لا ينسى انني وليد الذي سهر على راحته وقد كاد

حبيبه عندما اصبت بالمرض .

— سكينه وليد .

— هل تحبينه يا دعاء ؟

— اجل احبه .

— وبار اليه منه ؟

— وما الداعي لهذا السؤال ؟

— بار اليه في ان تتزوجي مروليد ؟

— لم افكر في الزواج الآن وانا عازمة على الاقدام على العمليه .

— وايه عليه — آسى يا بنيتي — وكل عليه بسيط —

— وجائت عليل مضاعفات . فلنوجل الحديث في هذا الشأن .

— اسمعي يا دعاء — اريد انه اعرف رأيك فقط .

— معاد يا عمي ؟

— عماد عماد — كما حدثته عنه امس تذكرين عماد

— اليس خطيبك ؟

— وبعد كل ما قال ؟

— اعتقد انه لم يقل شيئا .

— كفى يا دعاء كفى كفى — انك تتعبيني —

ولاول مرة تحدثت ابنته نائله .

— اصرأيا اخي فيا بني ارى ان دعاء قد ضاق عاقله واعصابها لهذه الصدمه التي اثرت عليها وجعلتها لا تعرف بم تجيب وبعد ايام ستزى انها ستعيد موازنة وتتحول عن رأيها .

— هل صحيح ما تقوله يا دعاء — ؟ ارجوك يا ابنتي .

— آفكر يا عماد اتركوني الآن انني اتعذب اتعذب .

واغمي عليها ولم افهم الا دانا في السرير وخليد يجلس بقربي — وكان الوقت عند الظهر — جاءل وليد انه ركبني فلم اجبه واستعطفني فلم ارحمه — ولماذا ارحم هذا الغلب الذي عذبني — واتعبني عليه عبيبي — الا يرحمني هو ؟

وتذكرت اني انه عن الطعام فلم اذكر منه شيئا ومرت الساعات ودانا اليني ولوكانت جدران الغرفة انانا التقطر قليلا حزنا على حالي — لقد بدئت صراع الحياة ، بدئت صراع الصبر — وبدأت اتمنى الموت لارتاح صراع هذا الشقاء وعاودتني الافكار القديمه — الانتحار — الانتحار — انه هو الذي يريح نفسي من شقاء هذا العالم — اسرعي يا دعاء واذهبي عن الانتحار — ولكنه لا يسرا ان اقدم عليه لانه اوقع نفسي في الخطيئة — لماذا اموت ؟ لتدور حولي الشكوك ؟ هل اياست من الحياة ؟ وكم مره بئست ثم عاد في الامل ؟ انه الله لم يضنه على ذي بأس

ترى الدكتور دانا جيبه السبب الذي دفعت منه حتى لم اكن اغادر غرفتي الا للضرورة وعزفت عن الحديث الى الجميع ولم يكن يسعفني الا البكاء والذكرى — لقد مر كل شيء امامي وذكرى تعاودني في الاحلام — انام على الاحلام التي تقربني من عماد — ولما اجيء الا اني اريد بعدا عنه — اسابيع مرت وانا على هذه الحالة — ولم يجرؤ احد على مفاتحتي في العملية التي افضل — وايقنت كذبه الذي لم يفلح بالسيطرة علي بعد — فانا لم اعد تلك الفتاة البريئة التي تصدقه كل ما يقال — لقد علمني الحياة والايام انه اكون على حذر منه واستعد في كل ما يقال لكي حتى ولو كان من الاحباب فما بالي بالكلام الذي يلوكه الافواد الذين ليضيقون ذرعا على الخائن حتى وهو يسير على طريقه للاصلاح امامي وليو صدوه الابواب دون الرجاء —

ولم اجد وسيله اقتل بها فراغ يومي وطول ليلي إلا بالذكرى والبكاء
فتحول عودي وتغيرت ملامحي كثيرا ما ناسيتا - لقد كان عماد
يزورني بالعود وحاول عني ان يزوجني صديقه رغم مقاومتي وقفت
عاري بالسيدره و بالتهديد والعنف مرارا فقد كان يزيد في عنفه
صلابه وعوده رغم ضعف جسمي غير انه قلبي لا تزال ضعفا تر
تعلو بحب عماد الذي يحاول به التفريق بيني وبينه .
استيقظت عبر نومي مزعوم على صوت المدافع والقنابل والطائرات وليس
لدي اي علم بالاخبار التي كانت تتناقلها الاذاعات والالسنه -
لقد اطلقت اسرائيل رصاصه حرب عزيزه الاولى ودوت اصوات
التفجرات ويوم وآخر وانا قابعه في مكاني لا اسأل حتى ولم
اخرج من البيت لان الابواب لا تفتح في وجهي ومرت الساعات
والايام الرصاص لا يزال يدوي ودوي معركه الاسياب واجزاجاد
وليد وجش بصدري حين تخيلا ما اردد عليه وكانه رمز لقلبي المكسور
فسألني :

— دعاد الا ترحمي نفسك ؟
— ولماذا ارحم نفسي ولماذا انتم لا ترحمونني ؟
— الم تسمعي الاخبار
— واي شيء يهمني بالاخبار وهل هم جديد غير ؟
— لقد شنت اسرائيل الحرب على الدول العربيه .
— هذا امر لا يعنيني وانا في ساعاتي الاخيره .
— لا تقولي هذا يا دعاد .
— ولماذا تريدني ان اقول ؟
— ان الامل كبير يا دعاد .
— واي امل الذي تتحدث عنه بعد ان حطمتم قلبي وحيدتم روحي .
— انزل إرادتم اني يا دعاد .
— وانت البيت ارادتك ايضا ؟
— لقد اعجبتك يا دعاد ولاعزابه في ذلك لانك مثال لكل فتاة يتيما كما رجل -
— وبعد هذا ماذا تريدني ؟
— لا اريد شيئا يا دعاد - لا تظني انني اتوسل عليك - انك تمزقين قلبي بتوسلك - كفى يا دعاد عن البكاء واستمعي الى ما اقول
— ليس في قلبي متسع لاكثر من العذاب الذي فجرته .
— لا تظلميني يا ابنه عمي فقد عرفت منذ صغرك لعماد ولوالده لا تحبينه لا ما وعن كل هذه المعاوده ومنذ أنت لساعدتك الآن .
— واي سبيل ستسلكه لساعدتي ؟
— اصغي الي .
— انني مصغيه لحدث .
— ابو الذي قد وضع استثمار ايتوبه المنزل حتى لا تسربي منه
— وكيف اهرب والسجانه على باب السجن لا تفارقه ؟
— لقد تزحف اختي مع جموع النازحين الذين اضطرتهم حزبان الاعداء الى الرحيل -
— ماذا تقول ؟ ؟ هل انتصر الاعداء ؟ هل هزمنا ؟
— انزل الخيانه التي لعبت لعبتها احتلالنا وهزيمه جيوشنا .
— لا تقل انزل الخيانه بل هو العدد الذي يلاحقنا بقذائفه ومصائبه
— ليس الآن مجال للحديث عن الهزيمه والنصر بل انني اريد مساعدتك بكل ما املك - أنك بالطبع تريد الهرب وكيف عماد -

— عاد .. عماد .. ايه هو عماد؟ وماذا عني له —
— عاد يهز اصابعي يا دعاء واعطني .
— لقد غير في الجديد يا وليد - كيف سأدى عماد ؟ وهل اشعر بقوله ؟
— يجب ان تتغير بكل ما اقول - هذه ورقه وقلم
— ولماذا يا وليد ؟
— الا تريد ان تكتبي له رساله .؟
— ومن يحمل رسالتي اليه ؟
— سأرسل بنفسي لانني لا استطيع ان آخذ له اليد .
— استكره له يا وليد واشعر انك تحبني وتشتهي لي السعاده .
وتناولت القلم وبدأت اضعف الاعذار والهموم كتبت الرساله لعماد وبعد ان خنقتني كل شوقي وحبي وكل ما عذبت لي سنوات وتناول وليد الرساله ثم ودعني وغادر البيت وتركني وحدي — لا اعلم كم مر الايام سيرعلي وانا وحيده —
كنت اجلس بعد ثلاثه ايام على شرفه غرفتي الهي فاكري في النظر الى بنايات نابلس وجبالها واسيارها عندما وجدت الباب يفتح ليدخل وليد وفي عينيه سترد برود قوله — ولكنه لم يقل شيئا بل اخذ يدخل يده في احد جيوبه ليخرج شيئا غضه له تلبي — انها رساله بخط يد ازدهر بين ضلوعي — يا الله هل انا سأقبل يا وليد لتقديرك يتحول الى صفي — واليقت بصحه النظريه التي تقول ضلالك فوتاير تتنازعان داخل الانسان قوه الخير وقوه الشر وقد تغلبت الاولى على الثانيه في وليد بينما هزمت الاولى امام الثانيه في عمي فوقفا تقيضين في بيت واحد — وسلمني وليد الرساله التي ارتعشت يداي لاستلامها وكان عيوني تقرأ كل حرف بعد طول غياب قبلت خطه وشوقا

وبدأت اقرأ الرساله بينما انسحب وليد من الغرفه تاركا لي الخيال للتعبير عما اشعر به —

حبيبتي دعاء .

انتابني حيرة وقلق مترددة - ماذا اكتب وماذا اترك - هل اكتب كل المشاعر التي اضمرها - هل اخبرك بكل ما خلف بعدك من آثار - من ضعف ووحده — من شوق وحنين ؟ - لقد حنت اليك يا دعاء يا لحبر الخلود ويا فضه الامل - لقد تعلمنا ينبوع التفكير في كل شيء الا انت - وكنت انكر في غيابك وانت قد سلبتني الانكار . كنت لست بالله عليك اخبريني هل تغيرت يا دعاء كما تغيرت انا - هل استقالك البعد كما استقالني ، لقد مرت الايام ومر معها فأصبحت نائما ضائعا لا اعرف من الدنيا شيء - ربما جننت ، او هكذا يخيل لي - ازور كل مكان ضمنا بين ضلوعنا يا دعاء مثلا اخبرك اللحير الذي كنت اتذوقه معك ولا اتنسم تنهيده الحب التي كنا نضفي اليها في تغريد الطيور وصفير الرياح وحفيف الاشجار - ويظل العمر على يا دعاء مثلا يجري في الاعماد التي كانت تتعلم منا ايام الغرب . كنت عدت ضلوعا يا دعاء - ليتني طلبت اليك ارجاء الزيارة اللعينه ليوم آخر - لقد اشتقت لبحيرتك وانت تريبه ، كانت تلك آخر مره رأيتك فيها وانتظرت عودتك - ثم تعودي — ومر قلبي معلنا خوفه عليك وانا اسير على نفس الدرب الذي سرته ومر بعد ساعات — وذهبت الى البيت عدة لاسأل عنك وكانت شيئا جدتي يجدم وجودك وتركت الباب وسألت زوجها عنك فاخبرتني بأنك عدت الى البيت منذ ساعه — اسيء ذهبت يا دعاء — لقد عدت الى البيت على امل وجودك فيه وسألت صديقاتك فلم تقف شوقي ولهفتي اجاباتهن وبحثت عنك في كل

مكانه الحالي وجود له فيه وده جدد لقد بقيت يا دعاء - التفكير منك
اصبح قوتي - وبعده له سهدي الليالي الطوال - وانا لا اعرف
مكانك - ثم جاءت رسالته تنقلب الاقدار فتغيرت - وكيف
لا اصبح من الحبيبة التي اختارها قلبي شريكة له - لا زال احبه الايام
في صفا ساحادل زيارته مهما كانت العراقيل والاحوال تحاصل
اطلبه صبرا حوانا اعرف انه عجيبتي في نابلس - لا تنسى يا دعاء
وانتظريني
عماد -

انهيت من قراءة الرسالة ثم اعدت قراءتها دون ان اراعي عيني
من كلماته الخالدة التي لا تزيدني الا حبا وولها وشوقا -
بحثت بعد قراءة الرسالة عن وليد فلم اجده ، وجدتني مرة اخرى اغرق
في الوحدة والصياع - اغرق في الاحلام التي تحيطني وتملأ البيت علي
باشياطينه والاشباح - انني وحدي في هذا البيت الكبير الذي رحل اهله
وهنا فعلوا اذا لم يعد صالح من استطاع ان يسيطر على كل حركاتي
وسكناتي - ولا يزال الغير يزورني كل يوم ، ويعيد علي نفس النغم الذي بدأ احاديثه
وهي الزواج من وليد - وسألته عن وليد ولماذا لم يعد يزورني واذا به
لا يجيب ، ولكن الغضب ظهر على محياه وكانه اطلع على سر وليد وعلم انه
يخفي عني اعمالا ، وقال لي لن يعود وليد الى زيارتك ابدا الا اذا وافقت على
الزواج منه وسألته

— البس لوليد رأي في الزواج .

وادهشتني اجابته التي كانت تحمل الستوا عن وليد لانه اضاع فرصة الزواج والي
لم يعوضه - لقد دفع عني بثمن باهظ - انه يريد ان يتزوج من وليد وانا
ووليد نرفض هذا الزواج ، في لحظة يأس خرج من عندي ساخطا لاني
لم ارضخ لطلبه ولم اشعر الا وحديقة البيت تمتلئ بالجنود المدججين
بالسلاح وكانهم يستعدون لمعركة فاصلة - لقد ناجاني هذا الظهر من
الجنود واقتحم الابواب وسألني احدهم بلهجة عربية مكسرة .

— انت دعاء احمد
— اجل انا هي -
— تفضلي معنا -
— ولماذا ؟ والى اين ؟ وماذا اعي ذلك ؟
— امر الحاكم العسكري ارسلنا لنحملك اليه .
— لم اعمل شيئا يسبب ذلك .
— لا داعي للحديث الآن ، تفضلي . ×

ولم يمهلوني حتى البس ملابسي ، واسرعوا بي الى السيارة العسكرية
التي تنتظر وسارت بي الى مقر الحاكم العسكري - لم اكن اعرف سبب
طلبي وحتى لم اكن اعرف احد من الحضور في ذلك المكان الذي سيقودني اليه
ثم كثرة العرب الموجودين حوله ، وادخلت الغرفة راسا وقلبي
يدق بعنف - فلماذا اتوا بي الى هذا المكان - من اين يعرف الحاكم العسكري
دعاء - من وشى بي - وما هي التهمة التي لفقوها لهذي - اسئلة كثيرة حيرتني
وشغلت فكري عن كل ما حولي ولم اعد اسمع او اعي شيئا مما حولي - فقد تزاحمت الافكار
على رأسي وبدأت الهواجس تتقاذفني بالسوء - وهزني من الجراح الذي
سرعان ما غيرت ملامحه صوت ما يسمونه الحاكم العسكري

— ما اسمك ؟
— دعاء .
— دعاء ؟ واسم والده ؟
— احمد عدلي .
— اين تعيشين ؟

— كنت اعيبه يا مريم يعيب —
— وما سر وجوده هنا ؟
— ليس هناك سر لوجودي ج
— وكيف تفسرين وجوده في بيت كبير لوحده ؟
— لقد نزح اهل البيت وتركوني .
— لا تنكري .
— واي شاهد لي في الانكار ؟
— يظهر لي انك فنان طبيب .
— وماذا تفيد الطبيب ؟
— هل لك اصدقاء ؟
— ماذا تعني بهذا السؤال ؟
— اعني ما قلت هل لك اصدقاء ؟
— لا ليس لي اصدقاء .
— انكرين انك صديقا لدود يدعى عماد محمود رحيانه ؟
— من قال لك انه صديقي ؟
— وما القرابه بينكما ؟
— انه خطيبي .
— الم تريه منذ ايام ؟
— لا لم اره منذ ايام كثيره .
— وما السبب في ذلك ؟
— مسائل شخصيه .
— انك يا دعاء تنكرين كل شيء ، وتخفين الحقيقة . انك تنكرين ان عماد يزوره مع اصدقائه من رجال المقاومه ليبيتوا الليل

وبدبروا المؤامرات —
ونزعت من امرأته والتهم التي يريدني بها وصحت دون وعي —
— ومن قال لك هذا - انهم كاذبون - يريدون ان يفرقوننا لكن
الطريق ما اقاسي —
— اهدأي يا دعاء . فأنا الى جنبك الحبيب .
— لقد فقدت الخير وفقدت كل صفات الجمال —
— ولماذا يا دعاء —
— لان المحرضين حرموا زوجي واموالي كل ما علمتم انه كان حبيبا صالحا
— اسمعي يا انسه الاثيره انه من الافضل لك ان لا تنكري شيئا اعترفي يا دعاء
لا تخافي وثقي اننا سنعامله معامله حسنه .
— ولماذا انكر وليس عندي ما انكره .
— انك لا تؤدين الخدمه وتعاقبين ما يبدو .
— الخدمه وما هو الخدمه الذي تريده مني ؟
— لا نريد الا ان تدلينا على مكان عماد .
— عماد واسم جد عماد —؟
— لا اندري فلقد انقطعت عنه البيت والقريه فلم اجده .
— ولماذا اجتمع عنده .
— اليس عماد هو احد رجال المقاومه .
— ومن قال لك هذا ؟ انه عماد لا يمكن ان يشترك في ما تقول —
— ولماذا ؟ ما الاسلحه التي وجدناها في بيته ؟ البيت تدل على انه
من رجال المقاومه مثلا ؟ والبيانات التي كانت لديه ؟
— حرام انه تشوهوا عماد بهذه الاكاذيب .
— انكرين انه عماد من كتب الشعر ؟

— لا انكر ذلك.
— اذكر ماذا تقول لبيه في مجموعة الاشعار التي يطالب بنزار القبا
بالثورة.
— انه اديب وشاعر. والشاعر تلتهبه عواطفه وتتأثر بالظروف التي
تحيط به. وصل باستطاعة احمد ان يكبح جماح عواطفه الملتهبة — انه الوطن
انه قلقه سر النفس بل هو اغلى سر كل شيء في الوجود وكيف تستطيع ان تحبس
تحطم اقلام الادباء وشاعرهم.
— كفى يا دعاء وهذا دليل على اشتراكك مع رجال المقاومة.
— وما الدليل على ذلك؟
— الدليل على ذلك هو الخابرات التي تقول انه عثر مع رجال المقاومة
قد اصبحوا عبئا له في المنزل الذي تعيشين فيه.
— هذا كذب وافتراء.
— انت تصرين على الانكار يا دعاء.
— لا انكر ولكني اعيد لك ما تحدثت عنه ولا اعلم عنه شيئا.
— ما دمت تصرين على الانكار فلا بد من ايداعك السجن.
— لا ذنب لي ولم افعل شيئا — ايرحمني الناس — ارحموني — اليه اهلي — اليه
اني واهي لو كان لي احد لما حصل لي كل هذه المصائب التي يجوجا على الاقدار —
واودعت السجن — مر سجين الى سجين — ماذا صنعت؟ انه الانسان الظالم
الملاحق — مر مصيبك مصيبة ولم اعد اسمع شيئا عن العالم الخارجي الذي
حرمت منه — وبرأي الاني جميع انواع تعذيب الاقدار التي يستطيع
في السجن — وماذا لو اخبروني عن يوما بعد يوم، دون ان يستفيدوا
شيئا. وماذا اقول وماذا اعترف وانا لا اعلم شيئا وما يزيد همومي —
اني لم افعل شيئا يستوجب السجن — انهم الاتهام يا الهي ولا شك

انه عمي الذي يريد ان ينتقم مني ومن دعاء على السواء، وتأهلت ما كلمني
آخر مرة ولا عند رغبتي لاستشارة احد المحامين واتصلت بوالدي الحاج
محمود — وكانت لحظة اللقاء لحظة البكاء العنيف لقد بكينا كثيرا عند اللقاء
الذي امتزجت مشاعره بالدموع — واخبار والدي اشهر المحامين للدفاع عني
ويوم المحاكمة مثلت امام المحاكم العسكري وتليت الدعوى ثم تحدث محامي
الدفاع فشرح ملابسات القضية بكل ابعادها وكما جرى — وسئلت عن عدد
اسئلة فلم يستطع شيئا لقد وقع في الصيدة بعد ان كان على ثقة عند انه
سيوقع دعاء للجريمة من دعاء — وفي النهاية تلي قرار المحكمة.
بامر الحاكم العسكري وبنقض الظروف القضية حكمت المحكمة
بيراءة الآنسة دعاء احمد علي.
واتهمت الصفوف نحو المحامي الذي بذل كل جهوده في الدفاع عني ودحض
اقوال عمي واقوال القضية وشكرته من اعماق قلبي صفيه، وشكرت
والدي على ما بذله من جهود — واجهشا عانقني حبيبي اثر المحكمة التي قضت
بريئة ايانا سوداء قاتمة.
تحدثت ووالدي عن كثير من الامور بينما كانت السيارة تشق شوارع
المدينة متجهة الى مزرعتنا — وكلما حاولت التحدث عن محاورات السؤال حتى
يبدي والدي رغبته الحديث الى موضوع آخر واخيرا انفت صبري فسألته —
— ماذا احصل لعماد يا ابي؟
— لم يحصل له شيء.
— ولماذا لم يأت؟
— لانه مشغول بالعمل.
— وكيف يشغل عني يا ابي — هل يستطيع ذلك؟
— انه لا يستطيع الصفوف

— ولماذا ماذا حصل له —
— لم يحبت له شيء.
— انك تبكي يا امي اجبني هل صالحه امرأة حدث في غيابي؟
— لا يا ابني ليس إلا كل خير.
— قلبي يحدثني بأن صالحه امرأة.
— الحواسيس يا دعاء — الخونة يا ابني — لقد ارادوا الانتقام منه فأخبروا الاعداء عنه والحمد لله الذي نجاه منهم.
— واسيد هو يا امي؟
— لقد ذهب الى الضفة الشرقية خفية. وهو الآن في خطر.
— ويلي يا امي الا تريد لنا اللقاء يا امي انك لا تكتب لنا الاجتماع إلا وتكتب الفراق بعده.
— الصبر يا ابني — الصبر يا دعاء —
— كيف يا امي نصبر ونحن وحيدان صالحه بعيد عنا.
— لقد ارسل لك رساله وهو يرجو ان تقرأيها —
— وكيف لا اقرأها يا امي انها رساله عماد — عماد الذي احبيته اجل حظيا — لقد ابعدوك عنه وحاولوا بكل الوسائل ان يفرقوا بينك وبينه، ولا ادري الى الآن على ماذا كنت على قيد الحياة والكلام.
— اسمعي يا دعاء لا تظهري اليأس امام الاعداء — كوني قوية وتحملي كل ما تلاقي بجريح الابطال — ان تحمل التعذيب في سجون اسرائيل يدل على قوة ارادتك وصلابته امام الاخطار وهذا يدل على انك من المقاومة.
— لا انهم ما تقنى يا امي.
— عندما نصل البيت سأشرح لك كل شيء —

ماذا لك السيارة تشق الطريق الطويل الى ان وصلنا وافكاري لا احقق — ماذا كتب عماد في رسالته؟ اسيد هو؟ ماذا يعمل الآن؟ هل سأجده مرة اخرى؟ هو سيعيش يا تراه؟ وصل ماذا يجيبني كما كان امي اجيبي انه حر في تلبية اني تأكدت من انه لا يزال على حبه ووفائه — ولو لم يكتب كذلك فلماذا اذهب سيل الى؟ ترى ماذا يحول في رسالته؟ اني اتوقع مثل اخبار آخر عمله وحياته — وما زلنا نراودنا الافكار كثيرة وتقطعت كثيرة اخرى حتى اشرق بنا السيارة امام بيتنا الذي قضيت منه احلى الساعات والايام البيت الذي سيشهد احلى لحظات حياتي — البيت الذي انعم فيه عنه ليفرقوا بيني وبين عماد وقد حققت امانيهم الشريرة في ابعادنا فنفرقنا ولكن لا تزال الايام تلاحقنا بالعذاب —

استقبلتني امي باكية حزينة وبلبلت وجهي بدموعها الحارة التي امتزجت بدموعي وقد اصبحت غير قادرة على الكلام وعرفت عيناها بالدليل عند رؤيتي وانني نفرها الذي قاسته الاب عنه ابتسامة شاحبة خففت عني بعض آلامي —

— واحدا يا دعاء واحدا عدت الينا يا ابني — قالت امي —
— عدت يا امي لانسيم ان الانسان التي تستطيع تحمل وحدها ان تنسيني الهموم والاحزان.
— واسيد عماد يا دعاء — اسيد هو الذي اصابه يا بنيتي؟
— لا تسأليه يا امي ولا تأسي فالموت لا بد منه على الباس اله قليه.
— لقد تعبت يا دعاء من الكلام الذي هلك بنا — ان نعيد له عنا آلام نفوسنا ولم يكفي الاعداء بذلك — بل فرقوا بيني وبين عماد — حبيبي الذي لا اراه في الدنيا الا سواه.
— اصبري يا امي فليس امامنا من الصبر.

— ولولا الصبر يا ابني لمار أبيتي على هذه الحاله وعلى كل حال الحمد لله الذي فجاله صبر أبي الجريمه وأعادله الينا سالم.
— شكرا لله يا أمي وارجو الله يعود عماد والله بكون لعقادنا به مريبا.
— صبرك الله يعود عماد يا ابنتي فإنه الابتلاء بصبر.
— ولا تقنطوا من رحمة الله، حسبنا ونعم الوكيل.
— ما أجمل كلامك يا دعاء.
— لقد أخبرني أبي بأنه عماد أرسل لي رساله فأين هي. ابني مشوقة إلى سماع أخباره.
— انزل إلى تلبيه يا ابني.

وأسرعت إلى غرفتي — انزل كالمعتاد كلما لم يخبر بخبر سيء وكأنه صدم الإنسانه النبيله كانت حسن بعودتي — وبحثت عن الرساله إلى أن وجدتها وانفجرت عيناي بالدموع لقراءتي لها، فقد تجسدت صورة عماد أمام عيني استقرت الرساله في يدي وبدأت بقراءة الرساله، فتذكرت كل شيء — كل ما مر بي تذكرت نكاته الحلوه — همساته الرقيقه — عباراته الخلابه — تذكرت السفر برويه في فحيوا صوته وبرقه كلماته حتى لكأنه يخاطب على أوتار عود. كل هذا مر في خيالي وأنا أقرأ الرساله التي يقول فيها —

حبيبتي دعاء

اعذريني إذا سافرت دون إرادة مني ولكن الظروف حتمت علي ذلك — وعدتك يا ابنتي سأعود له وها كانه قد أحطم الأسوار التي تحول بيني وبينه ولكن الرياح لم تسر بسفينة الحياة التي اعتاد بها هذا العالم المتقلب كما اشتهي — لقد ارتفعت الأمواج وعاندت بسفينتي حتى كاد أن تنقلب في سلوا أن تدخل بر حفيه كنت أظن صراعاتي وأنت بالسفينة لترجع بنا إلى شاطئ الأمان وبر السلام

لأبيك وأنه على جاهدت بالاعداد لعدو كل عدو يطارد إلى البر وستري للاعداد الحربية والسلام ولم تمتد اليد الخفيه والأيدي الذي جاء ينتقدني عما أراد والدة الجريمة به — وسافرت معه في سيارة أحد أصدقائه الذي اسرع بنا عكس تيار الأوتوستراد حتى وصلنا بعد ساعة — وتوقفت على محور عبد الانطلاق في منطقة نخ — وشوقني له وتشوقه الذي قد فوق اليه بصفتي أحد الشباب الذين يودون الانضمام الى رجال المقاومة، انه بالدعاء أنا بغرض أحد أهدافه عن الجميع للزايا التي يحملها بل عبد القوة والشجاعة والعنفوان الجوف ثم الذكاء والنشاط في العمل — وكلنا محيرة ولو رأيته يا دعاء فلم يحملني الا الاعتراف بأنه الشاعر في أحد العصور حبيبي، آه يا حبيبي لو أنبت واستوقفت معنا فيما نقوم به من أعمال — انا نقدر بعض أعمال المقاومة وسأسافر الى سويسرا لأنهي تدريبي في معسكرات تدريب العدائيين صدقني — لابد أن أدافع عن وطني ولابد أن انتهي من هذه المهمة يا حبيبي لا تقولي أني ظالمتك بعيدي عني — ولا تكرري تلك الكلمات — القسوة والجريمة والظلم بل رددي يا حبيبتي الأمل والصبر الأمل والصبر يا دعاء وأنتي عذرها — أنا بالأمل نحيي الأرض الى أن تأتي الأعداء — بالأمل نعذب الوطن الذي تمتمته يد الغاصبين بالأمل نروي النفوس المتعطشة للدماء — سنعيدي الأرض بيد من الغيبها جرم كريه سنجرها ثمنا ثمنا ولو تأخر ذلك على كل شيء سيأتي اليوم يا دعاء — أن الوطن يدعونا ولم نتأخر في تلبية النداء — وهل باستطاعة الإنسان أن يغمض عينيه ويصم أذنيه عن نداء الوطن — وما هو الإنسان بلا وطن — مزدهر ثائر — وما عشنا وصالة أرضنا تكبله بالأصفاد والأغلال لنقاسيه صنوف الآلام والعذاب فلا مرحبا لا تيأسي يا دعاء انتظريني انه كان باستطاعتي الانتظار فلم يجد

اليه مع موالي التحيه ، ولا تحزني ايا لم احمد - لا تحزني ايا لم جادك حين استشهد في سبيل الوطن - واعذريني انه قلت لك انه مؤلم كل ستة لمؤلم الاب والزواج، حتى ومؤلم الحياة وليست الحياة شيئاً ما دام صاحبها يعيد اعمار ارضه واهله، لا استطيع يا حبيبتي ان اعود الى يعيد لتلقفني ايدي الطغاة يودعونني السجن ويذيقونني صنوف العذاب - ارجعيه يا دعاء لحبيبه عماد انه يموت بين جدران السجون ارجعيه له السخرية المرة على ايدي الاستبداد؟ لا سيما دعاء اظنه انك لا توافقيني على ذلك ولا ترضيني في نفسه يعيده عن شرف الاستشهاد - دعاء حبيبتي ايا لم اعد فوصيتي اليك انه لا تبكي - لا تشعري الجبن كما تفعل نساء فلسطين نأت لست تلك النساء - انه عقلك اكبر من ذلك لا تبكي يا حبيبتي ايا لم اعد بل اذكري مع اسمى لمعاني وشرف الاستشهاد والحرية التي هي مصيرنا وقضيتنا - اذكري احمد في بيروت وهو على ظهر الدرب الذي اسيره فاجابه كتب في الرسالة يا عبيتي فاتركي الفاجعة على روحي ولا اظنه انك تبخلين بها على ثم ادي لاحمد ثأري على الدرب النصر والتوفيق امانة الله السلام وعدت اليه فلم يكن هو اجل من ذلك اليوم الذي ستكونين منه طروس النصر عروس الحرية والثورة والتحرير - وداعا يا دعاء - وداعا يا حبيبتي والى اللقاء ايا لم تكتب لنا ذلك.

عماد -

هل ارسلت لي الرسالة لتودعني يا عماد - ربما - هل ستكون وداع لي عله هذه الصورة هل حرم علي رؤيتك - لا لا يا لم اراك - ولو كلف ذلك حياتي - وتذكرت كلام الذي عبر المقاومة وعلمه وعده لي بالشروع والتفصيل عندما نعود الى البيت - جففت دموعي التي لم استطع السيطرة عليها

وخرجت من غرفتي صحتها الى مكان اجد انه عملك وحيدة حتى لا يظهر عليه آثار الدموع التي احاول عبثاً ان لا يلاحظوها. فوجدت تريز وحيدا تفكر ايوب لم اعرفك وما انه رآني حتى بدا عليه الاهتمام وكأنه عرف قصدي.

— اهلا دعاء.

— اهلا يا ابي.

— اجلسي بجانبي يا بنيتي.

— امرك يا ابي - امرك مطاع -

— لا يا بنيتي انني انكر في احوالنا.

— وما رأيك في هذه الظروف؟

— اتوصيني بالصبر يا بنيتي؟

— اجل يا ابي فهذا امر لا بد منه.

— وكيف سكون الصبر يا رأيك؟

— ما امر امرك حبذا يا ابي الا عله يد شعبك وابنائك.

— صدقت رأي صائب ولكنه عار أليه بالرجال العربية.

— ان الرجال العربية يا ابي لم تترك لهم جهة اتي مساعدتنا ولكنهم لا بد من وجود ابناء فلسطين للدفاع عنكم فالرجال العربية تساعدنا بالاسلحة والمعدات ولكنهم هذا لا يكفي يا ابي فنحن هذه عندما نشترك في المعركة فنحن اجل ارضنا واهلنا وهذا ما يقوي عزيمتنا ويساعدنا على الصمود والمقاومة ولم نضعف امام اعدائنا.

— وما رأيك في العمل الفدائي ورجال المقاومة؟

— انك تملأ نفسي بالسرور يا ابي الى الحديث عن رجال المقاومة وعن الانضمام الى درب الفداء والمقاومة التي هي اساس النصر الذي

نسير على درب الضحايا صراحة.

— انك تخيفيني بأحاديثك يا دعاء.

— لست الانتقام صحيفة يا أبي

— اذكاره هذا هو تفكير الفتاة فكيف يكون تفكير الرجل

— الرجل يا أبي لا يفكر بالسبيل الذي يسلكه الى المقاومة والنضال بل انه يسير الى هذا السبيل دون ان يفكر فيه لأنه الواجب يحتم وهو يلبي الدعوة مغمض العينين لا يأبه بعواقب النتيجة التي ستسير اليها الحياة أم الموت ولكن المرأة تخشى الموت وتخشى العمل ولا سيما الكثير من النساء يقيدن انفسهن بمثل هذا الشرف.

— اذا لست تمثلين النساء يا دعاء؟

— اظن اني لا امثل الا اكثر من بنات جنسي اللواتي لا يفكرن في الانضمام الى المقاومة.

— انك تظلمين المرأة الفلسطينية يا ابنتي فانا ارى ان الحقيقة بل اغلب من النساء يتطلعن الى الاشتراك في المقاومة.

— اذا كنت جادا في قولك هذا فيدل على ان قضاء النكبة بأت تبتعد عن عالم الغائبين واحداث الاستياء والاضطراب واصبحت تفكر في امور اجدى من هذه وارجو ان تفكر كل نساء فلسطين هذا التفكير

— وليس هذا فقط يا دعاء بل ان الفتاة تساند الرجل في الاشتراك في المقاومة.

— هل صحيح ما تقولين يا ابي؟

— اجل يا ابنتي

— وما اعلمك هذا؟

— اتظنين اننا هنا بيد وبرجل؟

— ابتي استغرب قولك يا اخي

— ولماذا استغرب يا ابي وهل هناك ما يوجب الاستغراب

— ان رجال المقاومة لا يأبهون لأمر الا من الضفة الشرقية.

— ويقول ان تزيدي في معلوماتك ان رجال المقاومة هذا اتخذوا لهم مراكز في الضفة الغربية ايضا.

— هذا امر لا استطيع تصديقه.؟

— ولماذا لا تصدقينه؟

— لان الاعداء يتوسمون العيون والجواسيس في كل مكان.

— وهذا الامر يخيف رجال المقاومة في مراكزهم لانهم لا يستطيعون ان يجرموا عليهم عملا يقومون به في سبيل وطنهم وهم ان العدو حرم ذلك علينا فلهم القدم وسيلة تخيفهم في مراكزنا.

— اوتعرف احدا من رجال المقاومة يا ابي؟

— وما داعي لهذه الاسئلة؟

— اخاف ان لا تؤتمنوني على ما اقول؟

— بيد اني منهن لصدقك.

— وما اذا منهن غير صدقي؟

— اعتقد انك تؤيدين الانضمام الى صفوف المقاومة.

— عظيم يا ابي لقد بدأت تحسن باحساسي.

— وهل تؤيدين الانتماء الى صفوف المقاومة؟

— وهل في قولي ما يدل على المزاح؟

— ليس في الامر مزاحا ولكن

— انكم ولكم هذه تخيفني يا ابي — انك لتقف حائلا بيني وبين الاداء في الاعمال التي ارجو تحقيقها — لا تقل يا ابي فلقد فكرت في الانضمام

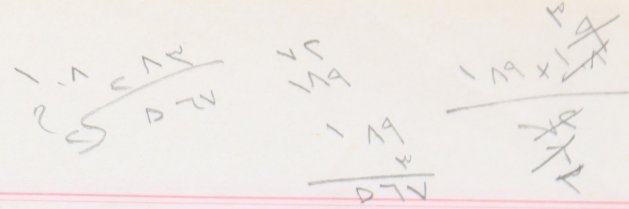

الى رجاله المقاومه وهنا وقف قلبي الخائف من ان لا توافقه على طلبي اما انه قد شوقني الى ذلك فلا اظنه انه ضائع في ما ارجوه ولماذا ابقى بالعمل وصاله عماد معول على تحريرنا.

— وهو قال له انه عماد سيعول على تحريرنا. ✕

— لهذا اجبرني ذلك في مسالته.

— وهل قال له انه انضم الى المقاومه؟

— وفيم تتغرب يا ابي؟

— كنت اود انه لا يخبره ذلك.

— لا تظلمه يا ابي انه وجودهم مع رجاله المقاومه افضل من ابقائهم جميعا الى الاعداء؟

— طبعا يا دعاء والحمد لله الذي اخرجه من هناك سالما.

— اذا انه انت توافقه على ما عزم؟ عماد

— ولكن سامد من عماد؟

— انني بالنتيجه اراه رجال المقاومه هنا اعطيه القوه على العمل كما انه اعطاني القوه في التفكير بالعمل على المقاومه.

— ان كنت ترغبه في ذلك يا ابني فلا مانع عندي. ولكنه هل تحتمله استعمال السلاح؟

— انني لا اعلمه استعماله لانه حرم على الفتيات التجنيد في عهدنا الماضي اما الآن فانا انتشوقه الى تعلم استعماله.

— هذا امر لا بد منه وارجو انه تشترك كل فتياتنا في المعركه التي لا بد منها قريبا.

— ولكنه الذي يزعجني هو انني لا اعرف احدا من رجاله المقاومه.

— لا تظني انه الامر صعبا الى هذه الدرجه انه ايسر من انه تفكر فيه وما عليك الا انه تذهبي للراحه الآن لاجتازه معي في صباح الغد الى احد مراكز التدريب لاتدلله الى وليس الفرقه.

— تذكر ابا اني انه ستعدني بهذا الوعد الذي سيجزني من عالم الحزن والشقاء الميت.

— اذهبي الآن يا دعاء ولا تنسي انه موعدنا في الثالثه صباحا.

— امرك يا ابي —

وخرجت من عنده متجهه نحو المطبخ حيث امي تعد طعام العشاء - ووجدتها تعد من الطعام الكثير مما جهزت وتحمله لانزيد على ثلاثه نساء تقل.

— ماذا تعملين يا امي؟

— اعد الطعام يا حبيبتي.

— وهل لدينا ضيوف هذه الليله؟

— نعم —

— او تخفين عني شيئا؟

— لا يا ابنتي.

— ولكن ارى الطعام الذي تعدينه يكفي لخمسة عشر شخصا عدا السائل وانتم ثلاثه لا غير.

— ضاله صديقاتي سيأتين لزيارتي والله جهدم الليله.

— انك لا تخفين عني يا امي.

— معاذ الله يا دعاء

— اذا ارجو ان تخبريني الحقيقه.

— الحقيقه يا دعاء كما قلت لك ولكن الطعام الذي اعده ليس للضيوف فقط.

— ولماذا يا أبي؟

— انه الطعام الذي تربيته يا ابني هو للابطال الذين بذلوا انفسهم للدفاع عن الوطن وحمايته الحرمات — انه لرجال المقاومة يا بنيتي —

— وهل نعرفهم رجال المقاومة يا أمام؟

— ومن يجهلهم يا دعاء؟ اليوا اعلام الحرية التي ستتحقق على ايدي أبنائنا اليوا منارة دروبنا وامل حاضرنا ومستقبلنا؟ ومن يدافع عنا يا دعاء غير شبابنا — ابار ارضنا التي سلبت واغتصبت واسس سجينة الظلم والطغيان لا بد لنا ان نفجرها بارواحنا حتى نرفع رايات النصر عليها — كيف ننزل له الاقصى جريح العدوان كيف نترك مقدساتنا التي حميت كرامتنا ودويت قناديل حريتنا — ومن الذي سيعيدها غير رجالنا شباب المقاومة الفلسطينية —

— اذا انت يا امام مطلعة على كل شيء —

— بل انني اجهل كثيرا يا دعاء — فلولا استغلت جهل السيد وحرصه في وجهة الاعداء لما تخليت عن ذلك ولما اخلت بروحي ونفسي لاقدم راضية لتكون فداء الوطن — ولكنك تريني وانا بهذه السن انني لا استطيع شيئا.

— بل تستطيعين الكثير يا امي.

— تكفيني يا ابنتي انه اعد لحياتنا الطعام واوصله لهم كل صباح وكل مساء.

— وهل تقومين بهذا العمل يا امام؟

— وهل المشاة بمثل هذا العمل صعبا؟

— ليس صعبا — ولكن —

— ولكن ماذا تمضي يا دعاء.

— انني اود ان اقول له بأنني استطيع القيام بهذا العمل بدلا منك وبهذا ارحيله عن عاتقك.

— انوه بهذا بعد شرف العمل وحرمانه لا يا ابنتي — لا يجب ان نترك هذا الواجب ما دمنا نستطيع العمل وما دام الشباب في الرجال يقوم بواجبه ما نقوم به نحن النساء — ان الواجب يحتم على كل فرد منا ان يعمل ويعمل دون ان يمل الى ان ينال حريته وتحرر وطنه او يموت دونه — وانه كنت تريدين العمل من هذا السبيل وما عليك الا ان تتقدمي وليدك تلاقي الا الترحيب والقبول —

— نعم يا امي انه حقا هو ما اتمناه —

— اذا كنت تتمنين ذلك يا بنيتي فأحاول تحقيق امانيك وليدل عليك بيتي صغيرك.

— وكيف يكون ذلك يا امي؟

— ما رأيك في ان تذهبي في الليلة لتوصيل العشاء لرجال المقاومة.

— الا يكون في ذلك يا امي —؟

— وهل ستتكلون في انني رئيسكم؟

— ماذا؟ — هل اني هو رئيس الغرفة؟ كيف هذا عني ذلك؟

— اجل انه رئيس الغرفة وهو الذي يده يرجع على استقبال الاسلحة

— انك لو فعلت ذلك يا امي واخذتني معك فانه انسى لك هذه المبادرة الحسنة.

— ولكنك تحبه يا دعاء.

— لست احبه.

— الست تحبه من الكتاب التي خلفها السجين يا تلك؟

— الله مايوفقني يا امام اني لم افعل شيئا يوجب السجن، ولو كنت فاعلة
— فمت بعمل جميل لما حزنت عليه تلك الايام التي قضيتها بسبب جريمة
— لا يرتكبونها — تصوري يا امي اني لاعلم جيدا مدى العذاب الاجل
— الله العذاب — الله كل هؤلاء الذين اديناهم اعترافا — وبماذا العذاب — ولكنا
— آه لو انني فقت بعمل ما — انني اخرجه الى شيء استفي به غليلي
— من اولئك المجرمين، انني ورغم الجهلي بأبي الذي مات
— ولا ازال اذكر انه رحمه الله ذهب شهيد الوطن على ايدي
— هؤلاء الكلاب — سأثأر له يا امي ولكل شهدائنا — سأضع
— نفسي في خدمة الوطن الغالي — سأعذبه بروحي وجسدي لو
— قتلت في هذا السبيل، ايها الوطن يصرخ الشباب والفتيات
— الكهول والعجائز، ليقوموا كلهم ويدوروا في المعركة ليهبوا دمهم
— الى الله، ومع انه لم يترك الاقدام ضعيفة تخلد ذكراه فإنه على
— الشام يتحول ضعفك الى قوة عند مقابلة سلطات الصهيونية التي
— ينبغي التعلم بنا واعضائها دمائنا. آه يا امي لو ذهبت الآلام
— جميع الظلم واسوار البغي والتعسف — الله كل ذرة في كياني
— تصرخ بالثورة — تصرخ بالثأر والتحرير —
— كفي يا دعاء لقد مزقت قلبي يا ابنتي —
— لا يا امي — لا اريد الله اسمع منك هذا الكلام اريد الله اسمع
— تشجيعا حقيقيا — اريد الله تساعديني الآن على العمل — على الانتقام
— لكرامتي وكرامة اهلي ووطني التي داسها الاعداء وصرخوا بالويل —
— الله حديثك هذا يشوهني عن الله المطلوب عن سر الزيارة التي سيقوم
— بها الضيف الله لزيارته هذه الليلة.
— وماهي يا امي — اخبريني انني رهن اشارتك وطوع امرك.

— الله الشخص الذي سيزورنا الليلة هو من اعز اصدقاء والدي
— وقد أتى ليطلعنا على بعض الامور التي خطط للقيام بها خلال الاسبوع
— وماهي الخطة يا امي.
— لم اعرف بعد ما هي — ولكن يبدو الله اجنبي بعض الشيء.
— وهل استطيع الاشتراك معهم في الحديث؟
— لا اعرف يا دعاء اما اذا اردت ذلك فما كان ابدا أبي الحاج محمد
— وهل كلفك الله بأن تعلمني عن اشتراكي معهم بالحديث.
— وما الداعي يا دعاء — الله الكثيرات من الفتيات شاركن في المعارك بل
— وأتين من الضفة الشرقية للقيام بعمليات ثم يعدن بعد انجاز
— ما اتين من اجله خلال اقصر الله اجله يجازين في ذلك.
— اتوافقني على ان اشترك في ذلك؟
— وفقك الله يا ابنتي.
— الى اللقاء يا دعاء، فما جاء صوت ابي الذي كان يستمع للحديث دون
— ان يراه.
— ابي انه كنت؟
— كنت اشارك بالاستماع الى حديثك —
— وما رأيك فيه؟
— لا اتوجه عليه ذلك الى ان نتناول شيئا من الطعام فانا لم اذق شيئا من
— الصباح —
— امرك يا ابي.
— اسرعي يا دعاء انني اشعر بالجوع واخاف ان لم تسرعي بتقديم
— الطعام ان اكل قطعة من

— مالك يا أبي، الرهف الذي يلفّ قلبه الجوع؟ وهل أسر جوعك الذي بدأت أحسّه؟

— ولماذا تخشى؟

— أنه مخيف إذا ألمّ بك على هذه الطريقة.

— صبرًا يا وعاد لمدة قصيرة فقط، ولم أستطع ولا أملك بيدي ما أفعل؟ واحدة تلم بكفيه للطعام تلك اللذة التي كنت أنت تمنحني عندما كنت بجانبي.

— دقيقة واحدة يا أبي

— اسرع يا وعاد صبرًا —

وأسرعت في إعداد بعض الطعام حيث لا زالت أبي مشغولة بالعلج الذي لم تتمكن منه بعد — واستولى ثلاثتنا على الطعام — ولكنه الحائر ينتقل ذلك الفنان الذي احبث عنه، يبحث عنه قلبي وتلهف على رؤياه عيني — وسرعان ما الأفكار وعيناي لا تزال عالقة بالطعام دونه الله أعلم — وهمس أبي

— مالك يا وعاد ألا تأكل؟

— ماذا — آه انني اشعر بالجوع وبعد أن ازدرد الأكل دون شهية لعدت كنت مشغولة عنه بما هو مؤلم كل شيء — في بلادنا وبصيرنا وبصير الوطن في المقاومة والتحرير وفي الجوع الذي سأستولي بعد وعاد أن آكل بكل ولسرعتي الأفكار كانت أخرى إلى أن سقطت بالأكفاء مرفقت يدي وكان أبي واضعًا يده أنتهيا أيضًا ورفعت الحائر وحملت الصحون إلى المطبخ لتنظيفها وحاولت أبي منعي عن ذلك لأنني تعبت ولكني توسلت إليه أن تتركني أعمل لأن العمل يقتل الفراغ

ثم اتجهت إلى غرفة أبي بعد أن انتهيت من العمل من أجل أن يستعد للخروج.

— أين كنت خارجًا أبي إلى أين؟

— ما أملك يا وعاد في أن تخرج معًا؟

— وأين تريد الخروج الآن متأخرًا قليلًا؟

— استمر بعض الغباء في وجودي بيته الحي أن أريد أن أطلعه إلى الحمل لأدى أحواله منذ مدة لم أخرج إليه.

— أذهب معك أن أردت

— أصلًا بيته وكنت أن لم تكوني معه

— أنني لا أشعر بالغباء أبدًا ما دام كنت أشعر به فإنه يزول عندما أرى تربتنا التي عشنا فيها مدة طويلة ثم حرمنا منها ظلمًا.

— أذن هيا بنا.

— هيا يا أبي.

— وخرجنا عبر الباب أحذت أبي يده لئلا تعثر في خروجي وسرنا صامتين وفي الطريق التقينا بكثير من نساء القرية اللواتي غادرن البيت والسرير الروتيني شاهد على وفائهن بسلام العودة فشكرتهم على ذلك ولا زالت أثير نشوتي أحيانًا وتخيم علينا الصمت أحيانًا أخرى إلى أن التقى أبي بجمع من أهل القرية وكان ذلك قرب بيته ما دفع أبي للوصول على الماء وكان الوقت عند الغروب وحرارة الجو بدأت تخف شيئًا فشيئًا وبدأ الجو يعبق بالروائح الزكية للتربة بعد انكسارها والانسجام مع الطبيعة بكل معاني الحياة من الماء والأشجار والسعادة الزاخرة الصامتة والعصافير بالحناجر الشجية ونساء القرية وفتياتها يتبادلن على

الماء فيغتسلا جيدا ثم تمتزج صيحاتهما بالضحك والنكات واستأذنت
ابي ثم اتجهت مخصوصة لبطيخي الانثوية لاساء كلهم بعضهما ويتحدثون
— اسمعي يا صفية - ان الماء لله يطيل ... وعدت وصلت العصير متلك
ثلاثة زجاجيتي .
— وسمعتك تقول انني سأذهلك يا اختي فلتسرعي على عجل صبر امري
بل سأنتظر وانتظر والسلام .
— عرفت سر ذلك الكرم انك تنتظرين ناصر على فكرة
الم تريه بالامس ؟
— لقد امضى طوال يوم وليلة امس يعيد آغني ومرارة على
كلمة يقولها فيك انه سيمر قرب العصير ويطلب مني انه انتظر حتى
يراني .
— وهل نفذت الغرارة ليرسلك ؟
— لا تكوني صحفاء ادخلت اختي صنى ازاحي التي تقرأ لي
وتكتب الرد .
— الست خائفة انه تقشير سرك ؟
— وهل هو سر اعجب - ان الجميع لم يخلقوا الا للحب يا
اختي وما الدنيا بدونه عجب ؟ ايام لا وعدني بلا ملولا الحب
لما عصفت الايام علينا وليدها سرورا في الليل مثل سريرها - ولولا
الحب لما صبر الشباب على اجل وطنهم وحبيبه .
— وتكلم تشقيف . يا لك قد تعلمت الكثير دون ان تدخلي المدارس
فما هو السر يا اختي - ؟
— وهل الحب يعلم في المدارس ان معلم الطبيعة وكتابه الازهار
ان ملك الحب يا ترى يتعلم سر الحب معنى الجمال - فتى كل

سنة يراه جمال - ملا يجعل الحب صفة اعلى احد ولا كرها لاحد
— صدقت يا صفية سنبدأ ما استجد به .
— اذن فقد وعدتني ؟
— اجل يا اختي .
— وسر هو - اسرع لقد ستوفيني الى معرفة الحقيقة -
— الله - اتت -
— سر هو آلا تقشيعي -
— انه سمير ابن خالي -
— يا ماكرة وتقشيعي ذلك على صديقك ؟
— لم اخفي عنك شيئا -
— وعدتني يا ترى ؟
— منذ اسبوع
— اسبوع واحد فقط ؟
— اجل يا صفية .
— انك تقشيعي على الحقيقة
— لا يا صفية صدقيني انني قلت كل الحقيقة .
— ولكنه سمير يحبك منذ زمن .
— وصار اوراله ذلك ؟
— لقد اخبرني ناصر بحب سمير له -
— وهل يعرف ناصر سر اسمير ؟
— اخبرهم انه صديقه ؟
— لا اخبرهم انه سيد وناصر صديقانه ولكنه لم يعترف بحبه الا
قبل اسبوع صدقيني يا صفية .

— اصدقك يا حبيبي ولكني سمعت بأنه سيدمت اشترك مع رجال المقاومة.
— اخفضي صوتك يا صفية اخشى ان يسمعنا احد.
— ولم الخوف وناصر ايضا قد اشترك فعلا.
— ايد الشباب حار بالثورة يسعى الى المعركة.
— انه امر طبيعي - شأن كل الوطنيين اسيدا فليس يهمهم الشباب إلا بتحرير.
— ولكنه انظنين ان عمل المقاومة امر يجدي؟
— ولم لا يا أختي؟ قلت ولقد قلت لخوصفية ونزى.
— اصلاستي دعاد لقد اهانت العربية لجودتها.
— شكرا يا نزى.
— الحمد لله على السلامة يا ست دعاد.
— سلمك الله يا اختي. كيف انتم؟
— بخير.
— وما الاخبار عندكم؟
— اية الاخبار عندها لم تسمعي بانباء المقاومة؟
— لقد سمعنا ولكني اريد ان اسمع رأيكم قبل.
— هل تحب افضل سماع رجال نختبئ في البيوت وهم يرمون انفسهم في النار لحمايتنا.
— اسمعي يا صفية ان هذا الكلام لا يعجبني انه ما سمعنا نارا ليس إلا شرف وعزم وقوم - وصبر يجب من هذا العمل ليس إلا جبانا خائنا.
— اخاف ان يسمعك الجواسيس يا ست دعاد.
— انني لا ابالي بهم.
— وهذا الذي تقولينه؟
— انني اعبر عن شعور كل انسان يضع مصلحة الوطن فوق مصلحة النفس ومع ذلك فانا ابارك لكما ما كنتما تتحدثان عنه.
— وصل سمعت جديدنا؟
— اجل لقد اسمعتنا اذ ستمنه وهذا ما يقوي عزائم شبابنا في الكفاح من اجل الوطن و يجعل اعداء الفتيات مما يفكرون في الانضمام الى اخوانهم الشباب والكفاح معهم.
في هذه اللحظة ليست اشاره اي الذي اتزوج صفية مع رجال العربية الذين يرجع لهم بعد ان وعدت صفية ونزى وتغيبت لهما السعادة.
— هيا يا اني لقد تشوقت الى زيارة كرمنا.
— اجل يا دعاد وانا كذلك ولكن الا تدرين يا دعاد ما اخبئ لك تحت شجرة اللوز قرب النبع؟
— بالطبع لا اعرف الا تودان تخبرني؟
— لن اخبرك الآن كلا وتماشوه وتعرفين المفاجأة بنفسك.
— لقد اصبحت الحياة كلها مفاجآت يا اني وانا احب المفاجآت
— ولكن هذه المفاجأة ليست كغيرها من المفاجآت ستكون بالطبع اجمل ما خبئ لك في العيب.
— لقد شوقتني يا اني الا تخبرني بالامر.
— لا تكوني كثيرة الالحاح وكما قلت لن اعرفك ما تودين معرفته ولن تعرفيه إلا بنفسك
— آه يا اني كم كانت جميلة تلك الايام التي كنت اتردد

هذا المكان مع عماد - كم كنا نقضي الساعات دون ان نحس بوقت لم نكن نفكر فيما حولنا من اشياء -

— الا تقتنعين بحياتك يا بنيتي ؟

— كيف اقتنع بحياة نامية وليس في حياتي الا الاكل والنوم -

— والسن يا دعاء هل نسيتي السن والايام الموحشة التي تقفيل داخل قضبانه - انسيت ما بذلت من جهود للمقاومة والصمود لقد كنت قوية بصبرك له وجرأتك وعنادك له . هل نسيت هذا كله يا دعاء - ؟

— لم انس شيئا ولكن الحياة التي اتقدم لخوضها والتي لا اعلم مصيري فيها تخيفني - اخاف ان اجد نفسي يوما غير قادرة على شيء اخاف ان لا استطيع القيام بالواجب المقدس كما يقوم به الشباب وبينهم عماد . ياحبيبي يا عماد اين انت الآن ؟ ترى ماذا يعمل عماد يا امي ؟ وهل سنلتقي يوما ؟

— ان الله كبير يا دعاء وقادر على كل شيء والامل كبير في اللقاء ولكن الا تؤمنين بالله يا ابنتي - ؟

— لولا ايماني الكبير بالله وثقتي بأنه لن يظلمني لما تركت في ان اعيش لكل ما عشت - لقد كنت قبل لقائي بكم تأملين من عمق كنت انكر في الموت والفناء اما الآن ومع ان الموت هو مرآة البشرية الانساني قد تركت التفكير به جانبا لا لانني اخاف الموت او اكرهه بل لانه يأتي حينما اود الحقيقة .

— وما وجه هذا الهدوء يا ابنتي - ؟

— ان من الحماقة ان اقول انه لا شيء الآن .

— ولماذا يا دعاء ؟

— لست ادري ولكن دع الكلام عليه لفرصة اخرى فلم تقدر لنا على البوح انظر يا امي ماذا ترى ؟ من هذا له ؟ يخيل الي ان شخصا يتوارى بين زوج اللوز :

— لا اشك انه احد اولاد جاد ليحصل على بعض اللوز ما بال وجهك قد تغير يا دعاء ؟

— لا لا يا امي ليس من اراه طفلا انه انه يا امي - آه قلبي قلبي يا امي -

— ماذا يا دعاء قولي هل انت خائفة اذا لم فأنت جبانة ولا تصلحين للمقاومة

— ليس الخوف يا امي انه انه العفاريت التي حدثتني عنها اذا هو هذا اثر يدي اسرعي قولي -

— تعالي الى انني ارى عماد

— كوني عاقلة يا دعاء هل اختفى نظرك ؟

— اهدأي يا امي ولتستعيد السيطرة على قلبي عماد عماد ابن انت يا عماد ؟

— اهدأي يا بنيتي وعودي الى رشدك .

— لا لا يا امي لا استطيع لا اعتقد انه هو يا امي انظر حركاته التي لا تخفى على فتنه عالمه يخيفني في وقلبي يحدثني والقلب لا يخطئ ابدا - لقد ازداد جزعا بانتظارنا وهذا ما كنت اشعر به اثناء وجودي معه .

— اخفضي صوتك يا دعاء ولا تكوني مجنونة -

— انظر انظر يا امي لقد راه تعال يا عماد تعال لا تختبئ —

— الم اقل لك يا دعاء انه سيكتشفنا العفاريت فتقتله وتلتهي

لم أكن أتوقع أن يحصل ذلك بمثل هذه السرعة. وما دمت قد
عرفت المناجاة فأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

— لا لا يا أبي لا تذهب كم كنت غبيا عندما قلت لي عن المناجاة
ولم أعرف بنفسي الوقت اسمعني يا أبي انه هذا سيزيد أكثر
من عاطفتي، يا أبي ترقبان أمله بيدي أرجوك لقد
جرحتني المناجاة جرحتني آه ه ز ت ن ي

— عماد عماد اسرع بالماء - إلي به.

— أمله يا أبي ها أنا قد أحضرته.

— تعال واسقها الليمه يا بني، سكينة هي يا عماد - لقد مرت عليها
شهور لم تر الله فيها - لقد كانت المناجاة أكبر منه أن تحتمل دعاء
يا بني.

— دعاء دعاء - اسمعني يا حبيبتي أنا عماد الذي بجانبك كنت تتحدثين
عني وأنا أعلم بأنك لم تزالي تحبينني يا حبيبتي -

— آه ع - ع م - آه - نعم - إنه صوته - أين أنت يا عماد هذه
المرة - لقد بدأت أصحو - بدأت الصور تعود إلي - كم كنت أتوق
إلى رؤيتك منذ زمن بعيد يا حبيبي

— أنني بجانبك يا حبيبتي - لقد شقيت كثيرا وأنت بعيدة عني -
كم كنت أناجيك الليل في الأحلام - كم كنت أتمنى أن تطغى الحقيقة على
الحلم - وكم كنت أحدث الليل الطاهر والقمر الجليل عنك وعني يا لك
الحلوة - لقد اشتقت كثيرا إلى سماعك التي تشجيني وتقوي
روحي وتخفف لهيب قلبي المعذب آه يا حبيبتي - لقد مرت ليال طويلة
عديدة كنت أتأسى فيها الوجد والعذاب والشوق وأنت بعيدة

ليال مرت بطيئة على البؤس وبضنيني برح الحرمان - آه يا عماد كم
يتعذب المحب إذا ابتعد عن حبيبه - حدثني يا حبيبتي عن نفسك
ورد على حديثي عن قلبك الذي خفق قلبي وسلبني الراحة
— زدني أنت حديثا يا عماد إن حديثك يفرح قلبي ويسعد نفسي لقد
مرت الأيام مني وأنا بقربك، حدثني يا عماد ولا تتركني في الحيرة
لأنني لو تحدثت لما استطعت ويكفي أن تعلم أنه ما بقلبك من شوق
قد وجدته منك وما عندك من حب قد صير قلبي أسير هواك وبدا
لقلبك ودعا لم يترك لي على قلبا فأنت سلبتني قلبي الذي به أحيا
ورد حبي الذي براعيم محلقة في أجواء الحب الذي ربط قلبينا حتى عقل
حرام عليك أن حرمتني منك

— الهذه الدرجة قد تملكك حبي منك يا دعاء - ؟

— بل وأكثر من ذلك - إنني الحقيقة حتى ولا تستطيع أقلام الأدباء وأدبيات
ريشة الفنان تدوه على وصفه أو تصويره -

— كذلك حتى يتعرف بأنه أصبحت تتغنين الشعر.

— لقد ذكرتني يا عماد بأشعارك يا حبي آخرها:

— يا للريا دعاء دعيني أعترف من لدنه وجودك بجانبي - دعيني أنسى أنني
أعيش في دنيا كغيرها ناس - اتركيني أذوب أنني أبتغي معك نقطة ولا
أحد يشاركنا حياتنا.

— لقد أعجبني أنك كتبت قطعة جميلة من الشعر وأكرر الرجاء
في أن تقول لي ولو أول بيت منها -

— لقد غلبتني على أمري فاسمعي أذنه يا حبيبتي -
يا حبيبي أنت يا من أبصر النور بعينك الجميلة
يا حبيبي أنت يا من أنزل السرور بدنياك الأصيلة.

ياحبيبي انت ياقصة حب ولدت من البطوله.
انت ياحبي امان.
انت ياحبي امان.
انت لحن.
انت فن.
انت آمالي الكبيره.
انت احلامي وذكريتي للطفوله.

— ماارد عليه ياعاد - ليتني استطيع ان اصف له شعوري وانا اسمع هذا الشعر الساذج - وحسبي ان اقول انني خلقت معدة في اجواء الحب الشاعري - ولم اكن اتوقع انه تلك بمثل هذه الروعه.

— انه تصفني بأكثر مما استحق ولو تلك الخمه لكان السبب فيما آلت حوانت وحبله الذي يدفعني دائما الى المزيد والمزيد من العمل الفني - لقد عرفته فعرفت الحب، وكنت اتألم عندما اجد نفسه الطير والحرمان وكنت اقول في نفسي ربما ستجيئ يوما - ولو كنت اجيبت غيوب ياعاد لصحيح بحبي الذي كنت مصمما على الاحتفاظ به من اجل سعادته وصفائه.

— وماذا رأيت في ما بعد؟

— رأيت الحب جميلا بريء عينيك اللتين اسرتني بسحرهما - رأيت السنونه الذي يشعل نار تلهبي، ورأيت الحياة تضارع الموت من اجل ان اعود اليه ياحبيبي -

— الا ترى ياعاد ان الحب يبعدنا عن الواجب المقدس الذي نقوم به؟

— ابدا ياعاد ان الحب هو الحب، وهو الذي يدفعنا الى العمل والعمل ولولا الحب لما كان هذا الانتباك على العمل نانا العمل من اجل سعادة

من اجل الفنانين الذي احبهما - من اجل ان ابعد عن الظلم وامنع عن العدوان واحرر حاسة الصود التي تفيد روحي - وانت ياعاد -؟

— وانا ياعاد سأعمل من اجله - سأعمل هنا من اجل ان تعود بكل هامته الكليل النصر والظفر.

— وبعد النصر سنتزوج ياعاد سنعيد بناء كوخنا الاصفر الذي حطمته يد الارهاب سنعيد بناءه ونضيف لبعيد الحياة اليه جانبه سنعيده من اجلنا ومن اجل اولادنا واحفادنا - وماحدث الاحوال والارض التي تزيل الاغيوم تغطي وجه الشمس ولكن الشمس سرعان ماتضرب بأشعتها وحرارتها هذه الغيوم الغادرة السوداء وتعود للظهور من جديد وكذلك امل في اعادة الايام الحلوة التي عشناها -

وكيف ستكون الغربة ياعاد؟

لا تتكلم بالغربة ياحبيبي، ان الغربة لا يفكر بها الانسان مادام في البداية.

وكنا في بداية المقاومة ياعاد - الا تفكر في غربة المقاومة ونتائجها؟ الا تفكر في صبرنا على هذا التعب الطويل؟

— كنا نعرف ياعاد ان من تعب في البداية ارتاح في النهاية، ولن نفكر الا بالسعادة التي ستأتي مع النصر القريب ان شاء الله.

آه ياعاد لقد نسينا انفسنا هنا والساعة تقارب التاسعة، والدرب امامنا لابد من العودة اليه.

— ليتنا نفكر هكذا لا يفكر هذه الساعات اي تفكير ولكن العودة لابد منها حتى لا يكون هنالك مجال للقلق عليك.

— وانت ياعاد ألا تريد العودة؟ الا تريد ان تعيد الايام والامسيات التي كنا نسير بها معا هنا الى جنب؟

٦٧ ٢١ ٦٧ ١٣٤ ٩٠
٦٧ ١٨٩ ٧ ١٣٤ ؟ ١٨٩
١٣٤ ٩٠ ٣٨٢
١٤٠٧ ١٨ ١٤٠٧

— لا لا استحليم يا وعاد هذا مستحيل.

— ويلي ، كيف نسيت ان اسأله عن سر وجوده في الغربة في مثل هذا الوقت ، الا تخشى الاعداء يا عماد ؟

— ان الفدائي لا يخشى الاعداء ولا يخشى الموت حتى ولا تتوهم الحياة كل ما يفكر به هو الدفاع عن ارضه وما يلذ له من الاعمال هو تحطيم سيارة من سيارات الجرمين او ضرب كلب من كلاب الاستعمار الصهيوني .

— وسر وجودي هنا هو اني مرسل من قبل المنظمة للتوغل للعمليات .

— اهلا بك ايها البطل الشجاع ، اذن هنأت من يريد الاجتماع بأبي الليله ؟

— نعم اريد ان اجتمع بقائد ازاد المقاومة في بلدتنا الثائرة والآن هيا اوصلك الى الطريق العام ثم اعود .

— لست اريد ان اعود وحيدة يا عماد ، اريد ان تعود معي الى البيت .

— اهدأي يا وعاد هل انت العائلة تقولين هذا القول اتظنين ان من السهل ان اتي الى البيت في مثل هذه الظروف تعلمين ان علم الجميع بذلك اي خطأ

— وهل يجرم علينا الفدائيون ان نعود الى مدارج الطفولة وارض الشباب وهل كتب علينا الحرمان دوما ، ولكن لا بأس يا عماد فستعود باذن الله متحررا اشلاء المجرمين الغادرين وستعود لتملأ الغربة وتعطر اجواءها بأغاريد الشجيبة واشعارك العذبة والآن وداعا يا .

— لا لا تقولي وداعا لقد يكون بيننا وداع وسنلتقي واعماقه درب النضال والحب درب الثورة والثوار الى الثأر وتحرير الارض الطيبة من سرطان الاجرام والرعب

— اذن الى اللقاء يا اعز الناس ويا اخلص المحبين الى اللقاء يا عماد على درب النضر .

— هلا اريتك يا وعاد وارجو ان تظل روحك كما هي روح البغام الطيبة

الثائرة ، روحك الجميلة التي تملأ قلبك الوفاء وانتظريني يا وعاد الى ان اعود ولا بد ان اعود

ودعته والدموع الغزيرة قد عصت ارادتي ، والرعشة تهز كياني ، وسرت الى البيت وانا التفت في كل خطوة من خطواتي حتى غاب عن ناظري ذلك الوجه الحبيب الذي اعادني الى الحياة وتذوقت معه طعم الحياة اللذيذ ، ودعته وابتسامة الامل تعلو محياه ، ودعته والوداع يرجف في جوفه ، ودعت عماد الذي انتسلني ووالده من غياهب الموت الذي كان محققا في يوم من الايام ، كم كنت اشفق قبل ان اعرف عماد ووالده ، وكم تغيرت نظرتي الى الحياة بعد ان تذوقت حلاوة لقائهم ، ولكن الامل في اللقاءات بعد هذا اللقاء وجد طريقه الى نفسي بعد ان فقدته ، وسرت وحيدة والضريبة على بعض التي لا تفضل ، وكانه ينظر الى بعين العطف والحب ، فرحت وحيدة في سمائه بين النجوم وانا وحيدة في طريقي ينا جيني ناحدته وكانه هو من احبت وسرت والهدوء يلفني بردائه والليل سيكونه وكأن الغريب الاخير قبل منا نأمه ولا صوت يهدد الدرب الساكن ورغم بعد البيت وطول الطريق على فتاة وحيدة مثلي ورغم انفرادي الا ان الخوف لم يجد طريقا الى قلبي — الى متى يا ترى ستسير بنا الايام على هذا الحال ؟ الى متى سنبقى تكبلنا القيود ومتى سيأتي اليوم الذي نخرج فيه ستر نفق الظلم ونطير الى الحرية واستنشاق عبير السعادة ، وفجأة تحركت فروع شجرة من اشجار اللوز التي كانت اغصانها الكبيرة تعانقه الدرب السراء فتحتضنك كما تحتضن الام وليدها وتلفت نحو الشجرة للتحقق من سبب تحرك الاغصان وسمعت صوتا يهمس لي فتوقفت عند سماع النداء — انه نداء اتي الذي كان ينتظرني تحت ظلال تلك الشجرة حقا كان متأكدا من عودتي على هذا الدرب وانتظرني الى ان اعود ، ثم انطلقا

به عندما ظهر فجأة لانني كنت على يقين من ان هذا الانسان لن يتخلى عني
ابدا وها هو يعين عن حبه وخوفه علي، وسرت وايام عائدين الى البيت
الذي كانت تنتظرنا فيه امي وجيرة، ومرت بنا دورية الاعداء ودوريه
ان نأبه لنا وكان الامر لا يعنينا، وسارت الدورية بسرعه بينما نحن نقترب
من البيت ثم ابتعدت الى ان غابت انوارها عن التلاشي ولكن الارض
كانت لا تزال بالمرصاد فما ان دخلنا البيت حتى التقت اسماعنا اصوات
الرشاشات والطلقات والقنابل، فلا بد ان تكون الدورية قد وقعت
في كمين وازدادت الطلقات سرعه واشتدادا وحمه نضج السمع
والسنتنا تلوح بالدعاء لشبابنا الذين يقدمون انفسهم راضين بصبرهم
دفاعا عن الحريه والتورة ـــ وما زالت الطلقات تزداد سرعه واشتدادا وحمه بات
القنابل تشعل النواحي الشماليه للقريه لحظات ثم اسرعت كالبرق
تخمد الى مكانه الحادث، ثلاث سيارات تحمل جنود الاعداء مرت
امام البيت على الطريق المؤدي الى الشمال، تحمل بعض الحقد والوحشيه
وتزمجر كالضباع العاويه تواصل طريقها الى ان تلاشت الضجيج من حيث
لم تكن تتوقع، فقد وقعت في كمين آخر كان ينتظر بجبروت واشتد
صدى المدافع مره اخرى وبدا الشمال يتلاشى ظلامه كل دقيقه وتنير
حلكته النيران الثائره وتلهب سماءه اصوات ترتد "الله اكبر الله اكبر"
الكلمه التي تزلزل قلوب الاعداء مدويه مه صفاجر الابطال، وثلاثتنا
يطل من النافذه على مكانه المعركه ـ ثم خيم السكون مره ثانيه بعد ساعتين
من بدء الظلام اول، صباحه وسكنت القريه كانه سيثأر لها من ضجيج
الليل وصخوده ـ وبدأ الليل يعود الى طبيعته الرائعه الفرح الا صوت
غربان الجو الذي بدأ يحوم حول تلك البقعه التي لابد ان جرى فيها دم
الشهداء الصريحين وبدأ الغراب يرسو ثم يعلو حاملا في فمه النفوس
الشريره والقلوب السوداء التي تمزقت وهي اشرس تقطر وتهبط
والانوار الكاشفه تسلط على الكائنات وتشير كالسيل النابيه الى كل ناحيه
من نواحي القريه وازيلت آثار الضربه عن الارض الطيبه عن
ازالت تحمل من القلوب الحاقده وانضم الليل الى الليل فوجدت
انني لا استطيع الانام امام اليوم الذي بدأ يتعالى لصنع جفوني
وناخ الانتظار والمرارة. انتظار ماذا ؟! انتظار الاجتماع الذي
حكم عليه بأنه يؤجل لانه جنود الاعداء طوقوا القريه واخذوا
في البحث عمن يسير نحو مخربيه واستقر كل بيت للتفتيش وكل اهل
للتحقيق وانا لا ازال في نفس الملابس التي عاد بها من القريه ولكني
لم استطع المقاومه اكثر واتجهت الى غرفتي بعد ان اوصيت على
ابوي تحيه الصباح من بعد يوم شاقه حوادث ايام عودتي
الى القريه بعد قضاء اشهر طويله بعيده عنها حزينه منزعجه.
كانت غرفتي تؤدي منظرا يثير الاحلام الاكيده
المزعجه كانت الرائحه تثار في انفي اجدني اخوض البحر
اقاوم امواجه الصاخبه تارة علو واهبط واغوص واطفو واتعلم
السباحه كما تتعلم الطفوله. كيف لك وانا غريقه استغيث الناس
فلا يغيث فيا احد واصيح فلا اسمع الا ترجيع صوتي في البحر عميق
القرار الذي لا حدود له ثم تجاهم وجدت سفينة النجاة وكانت
جهتها الى سماء واسعة ونظرت الله الى يعينه الرحمه والعطف
وزادت السفينة على الامواج وسمعت نداء يلوح لي وينادني ان تعالي
تعالي يا حبيبتي تأملت جيدا ياه ذاك وتعالى الي انظر اني انا نادم
البسه الله الله معنا يا حبيبتي ...
هو الذي ينادني صاحبة هذا الصوت احسنت تماما، اعرف

رنته، انه هو دائما ، يناديني ويقذف منه الموت، كم
انا مدينه اليه يا حبيبي يا عماد، كم مره شتت على الحياه
نانقذني ، كم مره كنت انزل على حافه القبر فانتشلني منه
بواسطه الرفيقه الحبيبه ، كم وكم يا عماد لست ادري . ولكني
دائما اجد في مدينه لله بحياتي التي كانت لتساوي شيئا
ما صبحت تساوي الكثير وتعني الكثير، كم مره كنت انظر الى
الحياه بعين الشقيه المتردده فاراها مظلمه قاحله وليس من
شعله توء تضيئها ثم تكون انت الذي يسطع نوره فيزيل
فتشرق من جديد وضاءه حلوه من اجل فاديه الله يا
عماد لقد اشربت من نائب الحلم والسعاده الذي تقوده
نحوي، حاله يدي يا عماد ساعدني على الصعود الى نائبه
الذهبي الذي اضاء حلكه هذا البحر الهادر وحول عنجه الى
هدوء وسكون عندي اليك ياحبيبي وعندي الى الحياه نليت
الحياه بالبعد عنك الا الجحيم والذي يئوس جف مادره فلا فائده منه
ووجدتني اصعد النائبه على ساعدي عماد والسرع النائبه بنا فالطائره
وانا نرجو لقاء حبيبي عماد والنائبه يسرع ويسرع الى ان شعرت انه
ارتفع بشكل هائل فاسي ونفقت عيني من هول المنظر نوجبتني راسه
في نواحي وخيوط الذهب تتسلل عبر النافذه تتعلق على الكوكه حبيبه
فتدوم زهره السعاده وحمدت الله على انه ما حدث لم يكن الا
حلما ، ولكني كنت اشعر بالسعاده والامل ونهضت من سريري
فاذا بابي قد اعدت طعام الفطور وبادرني بالسؤال قبل ان اتمكن من
تحيه الصباح

— كيف كانت ليلتك الليله يا دعاء ؟

— كنت متعبه بعض الشيء يا ابي.

— وهذا ما عرفته فقد سمعتك تصرخين وتناديه وانت نائمه
وقد اقلقني بكاؤك كثيرا.

— ليس في ذلك ما يقلقك يا ابي فلم يكن ذلك الا حلما مزعجا
راودني في النوم.

— هل لك ان تخبريني بذلك الحلم

— ابي انزع اضغاث احلام كما يقول كتابنا الكريم والحالم احيانا
الاحلام فلا تقلق نفسك من اجلي.

— تعالي اذن يا دعاء لنتناول فطورنا فانا استشعر بعض الجوع .

— انني نادمه يا ابي ولكنه انظر ان القرب خاليه من الناس
فما بك ذلك ؟

— هل نسيت احداث الليله يا دعاء ؟ لقد فرض الحاكم العسكري
حظر التجول على القريه وعلى الجنود ان يفتشوا البيوت بحثا عن
رجال المقاومه وقد اذاعت اذاعه اسرائيل بأنه تتراءى
من جنودها من تقتلوا وكانه من بينهم ضابط برتبه ميجر وانها تمنى
آخرها قد اصيبا بجراح ولكني اظن انه ما قالوه قد اخفى
كثيرا من الحقيقه لانه معركه الليله لم تكن لتسفر عنها مثل
هذا العدد فقط بل اعتقد انه ما اصابهم كان اكبر من
ذلك بكثير ولولا ذلك لما جبن جنودهم بهذا الشكل

— اذ هذا هو اعتقادك له يا ابي؟

— اجل وحمدالله كذلك يقول نفسي المقاوله.

— وايه هو اني ؟

— انه بانتظارنا هيا يا دعاء ، اسرعي

— ارحله يا امي.
— اهيئي السحور يا دعاء، اني اسمع اصواتا في الخارج انهم يصعدون السلم من؟ من يا الهي؟
— ترى من الذي يأتي في مثل هذا الوقت المشؤوم بالطبع؟
وبدأت تهز الباب طرقات شديدة، اخذت تتشتد اكثر فأكثر والاصوات تزداد علوا، اصوات غريبة وللمرة بدأت تتضح رأت امهات بعض جنود الاحتلال قد بدأوا بتفتيش المنزل واتجه اثنان الى الباب يفتحه واذا باحدهم يقول
— ارحم بديلك واخرج من البيت.
وحاول اي ان يعصي اوامر ذلك الجندي الغرير الذي لا يساوي شيئا غير انه سلاحه قد جعل منه رجلا وتجريد رجال امامه لسلاح جعلهم يخضعون له، ونظرة من عيون الحائرة الى ابي الذي يمثل الحقد في عينيه والغضب في تقاطيع وجهه جعلته يتنحى جانبا من البيت، ودخل الجنود الثلاثة تحميهم اسلحتهم ومئات الطلقات تثبت جبنهم وخوفهم فقلبوا البيت راسا على عقب واعادوا تفتيشه مرات ومرات ولما لم يعثروا على شيء سألني احدهم
— ما اسمك؟
— وما الداعي لمعرفة اسمي؟
— لا تكوني وقحة.
— ان لم اكن كذلك فقد علمتموني هذا الطبع.
— اخرس ايها الغثاء واخبرني باسمك حالا.
— والم اخبرك باسمي.
— اخرس ايها الغثاء، انت لا زلت صغيرة وعنادك هذا يودي بك الى السجن.
— ولماذا اسجن الا اني لا اريد ان يعرف مستوطن غريب مثلك اسمي؟
— اريد ان اعرف اسمك لربما شئت ام ابيت هيا تحدثي.
— ليس لي اسما اعرفه بل كل ما اعرفه اني اسم لشيء مزعج ومزعج وتشرد اهله وعاسه منه اعداؤه اسمي فلسطين.
— ويلك ما سمك عنيدة اليس لك اسما غير هذا؟
— ان اسمي دعاء. قالت امي التي كانت تقف بجانبي، قالت ذلك لتبعد عني شر ذلك الجندي اللعين.
— نعم هذا ما اريد معرفته وهذا ما قيل لي.
— وماذا قيل لك ايضا؟
— قيل لي انك تعرضين مكان احد الغرباء.
— وسر قال لك ذلك؟
— قال لي هذا صديقي لي وللحكومة.
— بلغ صديقك هذا تحياتي وقل له انه خاطئ فيما يزعم
— وقيل لي ان هذا البيت مليء بالمتفجرات.
— الم تفتشه البيت؟
— اجل.
— وماذا وجدت انت ورجالك؟
— للاسف لم نجد شيئا.
— ضربته حتى تقوليه.
— اضرب اذا كانت لديك الجرأة.
— اسمعي ايتها الغثاء، انت لا زلت صغيرة وعنادك هذا يودي بك الى السجن.
— ولماذا اسجن الا اني لا اريد ان يعرف مستوطن غريب مثلك اسمي؟
— اريد ان اعرف اسمك لربما شئت ام ابيت هيا تحدثي.
— ليس لي اسما اعرفه بل كل ما اعرفه اني اسم لشيء مزعج ومزعج وتشرد اهله وعاسه منه اعداؤه اسمي فلسطين.
— ويلك ما سمك عنيدة اليس لك اسما غير هذا؟
— ان اسمي دعاء. قالت امي التي كانت تقف بجانبي، قالت ذلك لتبعد عني شر ذلك الجندي اللعين.
— نعم هذا ما اريد معرفته وهذا ما قيل لي.
— وماذا قيل لك ايضا؟
— قيل لي انك تعرضين مكان احد الغرباء.
— وسر قال لك ذلك؟
— قال لي هذا صديقي لي وللحكومة.
— بلغ صديقك هذا تحياتي وقل له انه خاطئ فيما يزعم
— وقيل لي ان هذا البيت مليء بالمتفجرات.
— الم تفتشه البيت؟
— اجل.
— وماذا وجدت انت ورجالك؟
— للاسف لم نجد شيئا.

— اذن لماذا كل هذا التعقيد؟ ألا أنه صديقا لله اجزله بذلك ليرحمه الله انه يحب رجال الاعتزال حتى ولو كانه مُرله كذبا.

— هل لك ان تفضلي معنا الى المركز؟

— وماذا في ذلك سأذهب ثيابي والبي اوافرك ولو كانت بغيضة الى نفسي.

وعندما وجد انني لم اجبه امام اسئلته وامام سلاحه جنوده عند ذلك قال

— لاضروره لحضورك الكتابه وعندما تكونه بحاجه اليك فلبأنك الحضور. هل مفهوم؟

— وهل في مُرلك ما يستعصي منهم؟

واتجه القائم الى الباب وخرجوا بعده اخذوا الى معبرهم وساروا بعيدا الى ان غابوا عن انظارنا لم يلبث ليتلفني او ليقلقني اي احد والدي، ذلك لاشعورهم اخذوا رجالات القريه جميعا وهذا امر اعتدنا عليه ولكنه ما كان يشغل تفكيرنا هو عاده، لا شيء في القريه حيث انه لم يثار حل ولنا نخاف الله يعتروا عليه او على احد فانه ينتقم العصيب.

واليوم طويلا طويلا فارغا لا جديد فيه ونحن وحيدتين في المنزل نرتب غرفه ونذرع شؤونه حتى تمر تلك الساعات الساخره ولكنه الوقت كان يدب كالسلحفه بطيئا، ثلاثه يزورنا ليخفف عنا ولأم ساعات الوحده وشعرت بانقباضه في نفسي وقد تاريت الساعه الواحده الا عشر دقائقه والقريه لا يتحرك منها سائله وكأنما اذرعه الهدوء قد نشرت اشرعتها على المنازل ... كان اليوم حارا لدرجه لم احتمل معها تلك الملابس الخفيفه التي تعطر جسدي، ذهبت الى غرفتي والحر يضيق انفاسي ولكنه ما أنانيه تصفح كلمات كتاب كنت قد جعلتها عليه في المدة الاخيره كتاب بتحدث عنه قلبنا الاولى واخذت عيناي تلتهم صفحات الكتاب بشغف جنونيه لم اكنه عندما امسكت بالكتاب اريد القراءه مقدما بل اردته تمثلا للساعات ولكني للهفتي على غرابه القصه الرائعه جعلتني استمرئ القراءه بشوق وسرت مع احداث القصه كأنني بطلتها وكم تمنيت ان اكونه كذلك تالمطله الثائره تحمل الرشاش وتشارك اخواتها الفدائيه كل اعمالهم لتثأر لاطلاق اسيرا وامرأه اخرى الذي سقطت دماؤهم غدرا وعدوانا وفي الزريه تنتقم منه فرحمه علي تلك الطاهر الثائر فتنقل منه الحقد على تلك كل ما تحتزم عليه من قوه وتلك تلك الفكره الطويله انتهت بالخيانه من ناحيه وبتدخل الاستعمار من ناحيه اخرى وانتهى كل شيء وهذه القصه التي ربطتني بهذه الاحداث الشائكه بكل ابطالها استولت علي كل وقتي وجعلتني انكر نفسي وظروفنا الراهنه، نفس الظروف ونفس الاحداث ولكنه هل يستطيع روايتنا وروايه كفاحنا ضد نفس الزريه كفاح ٤٨ بل ارجوا له لا يكونه ذلك ابدا وادعوا له بالهزيمه لانه لا يحكم علينا بالسقوط المتردي وهذه اللحظه غلبني النعاس على التفكير فاسلمت روحي ونفسي ولم استيقظ الا بعد الخامسه فانتفضت اذناي اصوات منه الشارع فاتجهت الى النافذه استطلع الخبر واذا بالقريه تعود الى الحياه لانه حظر التجول الذي فرضه صباح اليوم قد رفع

سرت الى امي اسأل عنه اني فأجبت بأنه لم يعد بعد فأصابني القلق وظللت انتظر عودته دون جدوى ثم اتجهت الى بيت جارنا ابو احمد اسأل عنه والدي وقلبي يخفق خوفا

واستغرابا وسألت عنه فقيل لي بأنه عاد مع مجموعات الرجال الذين
عادوا في الساعة الرابعة ففرحت لذلك حيث أيقنت أنه والدي
لم يحبه أو بالأحرى لم يجز للتخييم معه وحمدت الله في نفسي
على ذلك ثم شكرت أبا أحمد وعدت الى البيت لأطلع أبي
على ما علمت ولكنه والدي فاجأني بابتسامته التي أثارت قلبي
وبرقته التي أسرتني فرحبا به على سلامته وجلسنا نتحدث في أمور مختلفة

— هاني ما عندك من الأخبار يا أبي .
— أنه الأخبار لديه يا دعاء
— صدا صحيح فقد حدثني سجرم البرنقال بامتياز كثيرا .
— هل هذا حقا وماذا قال لك ؟
— أتصدقني إذا حدثك بما قال ؟
— وهل تعودت الكذب ؟
— ليس الأمر واحدا .
— ومتى كانت تلك المرة ؟
— لا تقل تلك بل كل صمتي لأنني أكذب عليك الآن .
— أنك تخفيه أمرا
— ليس لدي ما أخفيه يا أبي ولكنك تقول بأمر الأخبار عندي
فمنه إليه لي بالأخبار وأنا أسير البيت طوال اليوم هل
حدثني الأخيار بذلك ، هل تسليت مع الجيران ؟
— ألم تعمل شيئا ؟
— لقد قرأت كتاب أرض الأنبياء .
— وماذا أعجبك في القصة
— أنزل أتقه يا أبي ولكنه الخيانة

— أنه الخيانة في كل زمان ومكان يا ابني ولقد ذكرتني بالخيانة وغدرها
— وصدا ما سمعته من ذلك الأسرائيلي الهندي
— نعم أنزل الخيانة يا ابني فقد كانت سجية من رجال المقاومة صدا
تخطيط للعمل وجهدوا أنفسهم يقومون به بعض الكمائن
الأسرائيلية وذلك بخيانة أحدهم الذي كان يعمل جاهدا مخابرات
بخفية تحت سراب وكنا نحن الحظ الكثف العنا ليوم خيانة
فأسلموا روحه الى الله يعاقبه على أعماله وصدا مصير الخائنين
للشرف والوطن .
— وكيف علمت ذلك يا أبي ؟ هل التقيت بأحد من الأخوان ؟
— أجل يا ابني فقد التقيت بعماد وولديه اثر عودتي ومكثت
وإياهما ساعة كاملة حتى علمت كل شيء .
— عماد — هل التقيت به ؟ وهل مازال صدا ؟
— أنه لا يزال وأخوانه في القرية ولن يبرحوها إلا بعد
الانتهاء من جميع العمليات التي وكل اليوم القيام بها .
وسيحضر عماد وولديه ورجل آخر الى البيت الليلة فكوني
حذرة .
— أمرك يا أبي وأنا سأراعيه في تناول طعام العشاء ؟
~~لا طعام قبل مجيء عماد ورفاقه ولكن أرجو قبل كل شيء~~
~~أن يعد مكانا للاجتماع .~~
— وفي أي غرفة تودون الاجتماع يا أبي ؟
— وهل صالة الجلوس زهرة المدائن ؟
— ماذا تعني بزهرة المدائن ؟
— وهل نسيت يا دعاء الأتذكرين تلك الغرفة التي أثيرت

تحت سلم البيت الجديد انزل رغم ضيق الوقت لأنزل تضحية لنا النجاح.

— عن اي نجاح تتحدث؟

— انحدث عن نجاحها في اخفاء تواجدها انظار الجميع وسماحهم قريبا دام البيت احد من جنود الاعداء.

— هذا صحيح يا اخي ونعم الاختيار ولكنه هل تعتقد بأنه الاعداء سيجادلونه تفتيش المنزل؟

— انه لشيء غير بعيد يا دعاء منه نظرا لترهم والاستلة والتحقيق الذي وجه الي دليل ثابت على انهم يشكونه في ولابد ان يراقبوا بيتي.

— وكيف سيدخل عماد واصحابه الى البيت ما دمت واقفا امام مراقبته؟ لا تقلقهم

— اوتظنين اني سفعل الى درجه انه اد خلهم في مثل هذا الوقت الى بيتي — انه عماد واصدقاؤه موجودون هنا في هذه اللحظه وليس غريب ان يكونوا هنا وقد مضى على وجودهم حوالي اربعه عشر ساعه.

— لا تقل انه هذا ليس غريبا بل انه مدهش بالفعل. وكيف لم نعلم بذلك؟ اذا فقد عادوا بعد المعركه اني جعلت ليلة امس

— هذا صحيح يا ابني

— الا تخاف انه يكتشف امرهم هنا؟

— ولماذا الخوف؟ وهل تخشين انت ذلك؟

— اخشى ان افتقد عماد يا اخي.

— اولا تؤمنين بقول الله "قل لن يصيبنا إلا ما كتب

الله لنا".

— صدقت الله العظيم انه نعم القول يا اخي.

— اذن لا تخشي شيئا يا ابنتي ولنسلم امرنا لله يعطي النصر من يشاء ولنعمل كل جهدنا على القيام بالواجب المقدس الذي وجدنا من اجله.

نامي هادئة ترى الصديق

وامي مات يغيظ العدى

انه قول ضد يزيد في ايمانا بالنصر وتقدير حال المقاومة الذين يحملون ارواحهم على اكفهم من اجل عزة الوطن والامة والآن ما دام عماد واصدقاؤهم في البيت والكل معد بالطبع اعود انا سالمه غير العتاد؟

— اني استشير الآن بالحاجه الى الطعام لذا سنذهب فورا بنا الى زهرة المدائن

— حبا يا اخي.

— دعاء

— اجل يا امي

— احمل معي حقيبة الطبابة الى زهرة

— حاضرا امي

كانت الساعه تقترب من الثامنه عندما حملنا السلم الى زهرة المدائن نحن انا وامي اطباء الطعام وولجنا باب الغرفه فرحب بنا الثلاثة ترحيبا حارا. سلمنا عليهم ثم عدنا ادراجنا من حيث اتينا لنتناول عشاءنا ايضا وللحديث بقية عن المؤكد انها توقفت

امام باب المنزل جعلتنا نتوقف عند الطعام، اسرعت
الى زهرة المدائن دونما ان اعرف كيف قفزت درجات
السلم ووجدت نفسي اقف امام الباب انقرع بخفة
قائلة

— اني اني ـ تفاحة وثلاث برتقالات ـ

هذه هي كلمة السر التي اتفقنا عليها اذا واجهنا
الخطر. اسرع اني في نفس اللحظة خارج الغرفة
مسدلا على الباب السري واجهزنا راكضين لنجلس
ثلاثتنا على مائدة الطعام وكأنه شيئا لم يكن. فتح الباب
بشدة وللحق وجودنا على المائدة والهدوء الذي يظل
سر عيوننا ازعج تلك الطغمة من الجنود فاحتاروا في
امرهم ثم تقدم احدهم وهو نفس القرد الذي جاءنا
صباحا فوجه الحديث الى اني تائلا ـ

— لقد العنت الاوامر الينا بتفتيش المكان.

— تفضل نا لنزل تحت تصرفكم ـ

— اظنه ان لك حاجة للذهاب حالا وجه القرد الحديث لي
ولاخي مواصلا نخبه تناول الطعام دونما ان نعيرهم
ادنى اهتمام. ولماذا الاهتمام بمثل هؤلاء الاقزام
لماذا نخشاهم؟ نا لنصرف السنيوم يجعلهم يتكورون
بنا ولسنا بحاجة الى ان نثبت لهم شيئا بتصرفاتنا
كما يفعل البعض من ذوي القلوب الضعيفة. وبدأ
التفتيش في كل ركن وزاوية في المنزل، حتى زريبة
الحيوانات بل واكثر من ذلك فقد صعدوا الى السطح

ودخلوا المرحاضة وقلبوا اغراضي راسا على عقب دونما جدوى
بقيت سترة بيتهوفن عندنا اتيه بها. واخيرا وبعد نصف
ساعة من البحث اعتذروا وغادروا المنزل ولكننا لم نأمن
بشرهم فقد اتخذت اني مكانها قرب النافذة تقل
بعينيها التي ينطبع فيها الهدوء والسكون تدريجيا في كل
مكان بينما انا بعيد الجنود عن باب البيت فقد ذهب
اني الى مكانه الاعتيادي واخذت انا مكاني قرب باب
الحجرة. ورغم انه من الصعب ان يكتشف الاعداء زهرة المدائن
الا انه الاحتياطات هذه قد اخذت لاجل ان يكون اني
مختفيا في كل لحظة يأتون فيها الى البيت يجب انه نريهم
كل شيء طبيعي لو انهم لم يجدوا اني مختفيا في الزمن السابق
لستكون الامر ملاذا لا نضيع عليهم كل فرصة يريدون
بها النيل منا والتعلم بمغامرتنا ـ استمر الاجتماع دونما
ان يتكلم اي طارق ثم نفخ الباب ودخل اني الى
الدخول فدخلت وقد سرت الرهبة في عروقي ليس من
الخوف والرعب بل لانني سأشترك مع الابطال في اعمالهم
كما وعدني اني ـ دخلت فبيتهوفن ثم جلست في مكاني
اثناء اني على بالجلوس فيه، كان معتادا على مقربة مني
فحدثني تائلا

— لقد علمت من زعيم المقاومة في مدينتنا انك تؤدين
الاشتراك في المقاومة منزل هذا صحيح؟

— انه هذا هو جل ما اتمناه وهيا ما لقد من اجل
تحرير وطني الحبيب.

١٨٦
١٦
١١١٦
١٨٦
٢٩٧٦

٢٩٧٦
٢٩٧٦

١٦
١٦٠ × ١٨٦ ١٦٠
١٠٧ ?
١٠٧

١٠٧
١٨٦
١٧
١٠٧
٧٠

— اعرف انك لا تستطيعين استعمال السلاح غير ان هذا امر يسير، فتلوين هذه الغرفة هي المكان الذي تتدربين فيه ولكنه عليك عملا آخر وهو ان عليك بعدان تنهي تدريبك القيام بتدريب اربع من الاخوات تنذرنه انفسهن لهذه الحركة المقاومة.

— ولماذا لا تقوم انت بتدريبهن؟

— ليس من الرجل ان اجتمع بهن يا دعاء ومع ذلك فأنت على معرفة بهن جميعا.

— انا؟ انا اعرفهن؟

— اجل هاك اسماؤهن.

— انه قول صحيح فأنا اعرفهن وبيني وبينهن صداقة قديمة لعدة كنا زميلات في المدرسة ولكن ليل متزوجة ولديها عملان.

— وهذا لا يعني ان نخرجها من حقل في الاشتراك في عمل مقاوم فإنه لم نساعدها نحن بتحضير آمالها فمن يساعدها اذن يا دعاء؟

— وكم يستمر التدريب؟

— عشرة ايام فقط لمن ترغب في العمل معنا فإنه كنت راغبة في ذلك فليس تطول المدة.

— او تقول انه كنت راغبة؟ ولكني اريد انه اشتراكه في العمل قبل عشرة ايام.

— انه التدريب لا يمنع من العمل. فرجال المستشفى وانا على ثقة بأنك لن تبخلي ببعض وقتك تؤدينه على الجرحى

— وهل استطيع انه اعمل بالمستشفى حتى سمع الاخبار واطمئن

— فكري قليلا يا دعاء وستري انه ذلك جائز ولست اعني انه تعملي بمستشفى القرية او المدينة بل اعني به ذلك الخاص برجال المقاومة وهناك في مكانه سري. ثم هناك عمل سريع آخر.

— ما هو قل يا انا

— عليك انه تأخذي هذا الى الخليل لايصال هذه الرسالة الى السيد عادل زعيم حركة المقاومة هناك تفضلي هذه هي الرسالة.

— ولكني لا اعرف السيد عادل.

— سأعطيك عنوان اخت لنا هناك، انزلي عندها وهي ستدلك وتساعدك على الوصول الى عادل والتعرف عليه وتسليمه الرسالة ولكنه يجب ان تتذكري العنوان جيدا

— اذن اعطني العنوان ولنه انا ه.

وهذا العنوان في تلي ولنه انا ه. كيف انسى عنوان الاخت سميرة الذي شرحه حرفه في اذني

— والكآبة انتهينا. انه صوت وليد. ونجاح اجتماعنا يدل على ان الله معنا في كل خطوة نخطوها.

والتفت والدي على الثلاثة نحيه المساء وتوجه كل الى حجرته اما الثلاثة فقد غادروا المنزل واحد بعد الآخر في حماية الله.

لم استطع النوم تلك الليلة الليلة الثالثة صباحا وانا انكر

بمدينة الخليل التي زرتها مرتين وكنت معالمها نقلت في نفسي.
صدم المدينة الجميلة التي تعانقه ارضها الاشجار في كل مكان
بلد يكد اهلها محولين الجبال الى حدائقه والوديان الى مزارع
يسره الناظر في خضرتها. لقد زدت فيها ذلك الوادي
الجبل الذي اطلقت عليه صديقي في الخليل اسم وادي
الاشجار، ولهذا الاسم سناه كبير الاثر في نفس زائره
بسبب تلك القصة التي سمعتها عنه من صديقي والتي تشبه
في مآسيها واحزانها قصة الفضيلة وزدت ايضا بعض القرى
التي تتوج جبالها اشجار الصنوبر والسرو والارز وابرتيت
شيئا فشيئا انسى ذلك المكان الذي يطلقون عليه اسم
واد القف - فالمرء لا يملك الا ان ينسى نفسه وتحلله
روحه مع اجواء الطبيعة الساحرة في هذا المكان -
ان الانطباعات عن المدينة لا تزال في نفسي احب البرها
كلما عصفت بي الذكرى الى تلك الايام التي قضيتها مع
عماد عند احد اقاربه. ايام كلها جمال وحب وصفاء،
اما هذه الزيارة التي سأقوم بها قريبا الى الخليل فلن تكون
كالمرات السابقة، فرغم اني سأكون وحيدة الا انه عماد
سيكون معي بروحه وقلبه ثم العمل الذي سأقوم به سيجعله
ذكرى هذه الزيارة التي يجب انجازها صباح الغد، وضعت
الرسالة الى صدري وقبلتها وكأنني اقبل رسالة حبيبي عماد
لم لا وعماد هو نفسه صاحب الرسالة رغم الغربة بيننا
وبيني بقيت رسائله، ثم فقدت قدمي بيت النعاس
والتفكير واخذا هزم النائي وانتشر الاذل نفت

توما حادثا استيقظت بعده في الثامنة على صوت امي
تناديني. تأسرعت في الوضوء والعبت على تحيه الصباح
ثم رتبت سريري وتناولت كوبا من الحليب واتجهت الى
حزانة الثياب اريدي ملابسي على عجل واخذت سيارة
الى نابلس ومنها الى القدس كل هذا حدث بسرعة
فائقة فلم يعرف سيدي اي غايته وصلت القدس
اخذت الباص الى الخليل ولما كانت الرحلة ممتعة مع
الافكار والمناظر الخلابة وتهت عن نفسي فلم اشعر
بالملل الا في مخيم الروسة القريب من بيتنا لحم فقد ردني
الى العالم جماعات الجنود الذين يملأون القرية، لماذا
لا ادري فقد كانت القرية هادئة رغم تجاوز الساعة التاسعة
والنصف والجنود في كل مكان وعلمت من بعض المحدثين
ان ثلاث سيارات للعدو قد تعرضت خلال ساعات
الليل الاخيرة الى هزات من رجال المقاومة التي
لا تعرف زمانا ولا مكانا بل توجه ضرباتها
في كل وقت وفي كل مكان. ولهذا اتقنت مرحلة حظر التجول
على الجميع وامر شبيه وشبابه بجمل بطاقاتهم الشخصية
والتوجه الى ساحة عين الجنود للتفتيش فقد طلب الى الرجال
تحديدا بالطبع بعد ذلك للتفتيش فقد طلب الى الرجال
مغادرة الباص وبعد انتهاء من الجنود يفتشون بعض
النساء واخذت اتلو آيات من القرآن الكريم على
مسمعهم بالخروج واحدا واحدا حتى انتهى من بطاقتي فأجبت
بأنه النساء لا يطالبن بحمل هذه الاشياء عندذلك

١٦٧
١٨٦
٢٠١٢
١٣٣٦
١٦٧
٣٠١٦٢

١٨٦٢
١٨٢ × ١٦٧
١٨٢
١٨٢
١٨١ ١٨٢

١٦٧
٨١

١٠١

ذلك منه عادل

— اذن نمت بانتظاري يا ؟

— اجل يا دعاد انا بانتظارك منذ يومين فقد عصلت على تقرير طبي يوجب على الكويت ٤ البيت ثلاثة ايام وذلك لكوني مريضة وانا في المدرسة فيصعب علي تحرير المرحة التي جئت بها اجلك.

— وبما دمت تعلمين يا اختي انه لا بد من ان يجب الاشراع بالعمل لتوصيل الرسالة التي جئت بها اجلك

— انه لنا عذر ساعة ونصف نلتقي بعدها بعادل.

— وهل ستلتقي به هنا في البيت ؟

— لا يا اختي فهذا محال لاننا نخشى الخيانة.

— الخيانة انزل في كل مكان وعلى الانسان ان يفكر مليا قبل ان يقدم على اي عمل ينوي القيام به.

— اجل يا اختي انه عيون اسرائيل تنتشر في كل مكان وهذا دليل على قلقل وعدم راحة وخوف، فلو لم تكن كذلك لما خشيت على نفسها ولاصبحت مستقبلة ولكن أف لهذا اليهود والانسان وشحه وراءها ولا بد لهؤلاء الحمير ان تنتصر في الزاوية مرحا كما هو حال هذا الحمار تليل الانصار ولا بد لشعوب العالم ان تعرف الحقيقة فتفتح عيونها عليها، وهم الذي سيفتح عيون هذه الغرفة عن الحمار الا الحمار نفسه الا يؤدة الحمير وشعبه.

— كذلك صدا يذكرني بأن الحمير يعلو ولا يعلى عليه والله لا بد ناصرنا مرحا لمالك السليم والشعوب التي تحاول

الاستعمار والاحتلال ننتظر عليه عشرين عاما مضت
قد ولدت من جديد مؤيد جبارة للصراع في وجه
الغاصبين معلنة بدء المعركة، والدهر يومان
وها هي بنت امريكا المدللة قد اخذت يومها وقد
حان الوقت لنأخذ يومنا.

— ولكن هل تعتقدين بأن جميع افراد الشعب يؤمنون
بالنصر وبالثورة

— هذا امر لابد منه فاما لم يؤمنوا بالثورة اليوم فسيأتي
الغد الذي يجبرهم على الايمان بها واما ان ترتكز
وسيجعلهم "الغد" يؤمنون بأن يوم النصر لا مفر منه
وبأن الطريق التي فرقتنا ستقربنا الى السلام.

— انه كثير انه الواحد صنا يتكون بالنصر وها صرنا،

— ويجب علينا نحن ان نثبت لهم ثقتنا وعقدتنا هذا اذا لم
فقد اثرت بهم الرهيبة ولربما علينا ان نقيم الدليل
الى نفوسهم وان نشق النفوس من صدورهم بلا رحمة
وها هي اذا غائنا العربية تشق طريقا واسعا الى الليل
في النصر ولوقف الحماقات التي لا تزال تسيطر على احلام
للرجل الضعيف. ولكنه لنعد الكرة الى موضوعنا الذي
اتيت من اجله حتى وكيف سنجتمع بعادل

— صنالة واد يسمى وادي الاشجار وعادل ينتظرنا
صنالة بالطبع لانه المكان الذي اتفقت معه على
الاجتماع به

— انا اعرف هذا المكان ولكنه متى سنراه؟

— سيكون عادل صنالة في تمام الثانية اي بعد اربعين
دقيقة

— اذن هيا بنا نذهب الى ذلك الوادي الذي اسمه ذكرني
لانه مضت وقت وذي اليه ستوصلنا كبير منزل هو مرتب
من صنا

— ليس بيننا وبينه سوى ساعة بسيرة ولكنه هل نصابنا
يجب ان نتناول بعضا من الطعام فما رايك؟

— كما تشائين رغم عدم شعوري بالجوع -

تناولنا الطعام في غرفة الاخت سميرة ثم سرت
واياها الى المكان الذي ينتظرنا به السيد عادل
لم نكن المكان بعيدا فقد وصلنا اليه بعد الثانية الا
عشر دقائق فلمحنا على حافته ترله تحيط اشجار اللوز
لتضفي عليه الانطلاق وحدثنا حوله صنع كثير من
الناس والطالبات الى ان اختفت اصواتنا
وقبل ان نصل اليه مرتبة منا واذا بشاب ليتقدم الينا
عرفت منه ترحيب سميرة به انه نفس الشخص الذي
اتيت من اجل مقابلته، رحب بي عادل في مدينة
الخليل قائلا

— اهلا بك يا آنسة دعاد لكم تشتاق مدينة الخليل لان
تضم الى صدرها وتزيد الى ابطالها بطلة تحمل مثل جرأتك وتقوم
بما تقومين به

— عفوا يا سيد عادل فأنا لم اقم بعد بأي عمل، وصنا هو
اول عمل اقوم به رغم انني كنت انوي الى القيام بمثله

منذ زمن طويل.

— وعلاوة على هذا يثبت على انه جدير بكل تقدير، مثل هذه المرحلة لا تقوم برأي إلا كل من تملك الثقة التامة على ضبط النفس والجرأة والابتعاد عن الخوف ولولا هذه الصفات التي اختبرتك بها منذ اول لقاء بيننا لما استطعت ايصال الرسالة الينا.

— انه تعطيني بأكثر مما اعلم عن نفسي يا سيد عادل فالاخت سميرة مثلا ربما نالت بأكثر مما قمت به اليس كذلك ؟

— انا لا انسى فضل الاخت سميرة بل وسنشكر برأي كل ما نالت به من خدمات رغم ان تعرفنا برأي لا يزال في مولده وذلك لاننا لم نتعرف برأي إلا منذ شهر فقط ولكنها خدمت لنا كل ما يريد.

— لا تحرجني يا عادل فلولاك لكنت انا سميرة الجبرانية ولولا فضلك وجهودك لما احسنت بالعاد بالعادة التي احس برأي الآن، ولولا تعرفي به لما استطعنا انه افعل شيئا.

— انك يا اخت سميرة تعطيني الشرف على اني سبب سعادتك وتنسين نفسك بل وتهملين تلك الروح الوثابة الى الثورة والعمل والعمل، لو عرفت يا اخت دعاة تلك الطريقة التي جمعت بيننا لما عدت ترى، فانا انسى عندما اذكر ذلك الحادث لا اعود به إلى التي اعيشه قصة خيالية بعيدة عن الحقيقة

— لقد شوقتني الى معرفة الحقيقة التي تعودنا به عن منزل في ان لم يبعض الشيء عن منزل ؟

— بل وكل التفاصيل يا اخت دعاد فانت منا وبعد ما يسعدنا بل ويعطيك والينا القوة والقدرة على العمل الموحد وتحقيق هدفنا الاسمى الا وهو تحرير الوطن، منذ اسابيع كنت قد جمعت على العمل مع بعض الاخوة في قلب مدينة الخليل، وانطلقنا من المركز الذي اتخذناه وكرا لنا نأوي اليه حينما نشاء وكنت انا كان هذا المكان منزل بيت الاخت سميرة والحق ايضا عرفت سميرة ذلك المكان واتفقت انه مركز لبعض رجال المقاومة ومتعودنا اليه في احد الايام لغرض المفاجأة اما منا.

— وماذا كانت هذه المفاجأة ؟ وهل كانت سميرة بانتظارك ؟

— سيأتي منزل تجيبك بالتوديع عنه.

— تحدثي يا اخت سميرة ماذا حدث بعد ذلك ؟

— لقد تعرفت على المكان واتفقت انه مركز لبعض الاخوة الذين يقدمون ارواحهم حبا للوطن، ومنذ تلك اللحظة بدأت افكر بطريقة للتعرف عليهم او على احدهم، ولكني جمدت على نفسي - لماذا لم اخلق رجلا حتى استطيع كهم اعمالهم ودون خوف من العادات والاصول والناس، ثم جاءتني افكاري اتفقت الى تلك التي ابحث عنها، واسرعت في العمل، يجب ان اكتب رسالة اصغي بها ذلك المكان

لاحضر الاخوانه برغبتي في الانضمام اليهم، وقد جادتني هذه الفكرة لبرهة بالاستقالة من اجلي وفي صباح اليوم التالي اتجهنا الى نفس المكان لتفقد الرسالة، ولا تتصور كم كانت رهبتي عظيمة في تلك اللحظة، لا لانني اشعر بالخوف والرعب بل لانني معتزم على عمل سيحول مزاج حياتي تماما ووصلنا الرسالة ثم عدنا الى البيت مسرعين.

— اين هي الرسالة يا سميرة ثم ماذا احدثت لك ولرسالتك؟

— بعد تلك الساعة اخذنا نزاحم المكان عدة كتب ومضت ايام ثلاث خلال عشرة او اكثر لسوء حظي، حيث كنا نزور المكان يوميا لنتعرف ما حصل ولكنه الاخوة لم يعودوا وظل عنا برهة حتى شعرت انني افقد شيئا عزيزا على نفسي واعتقد انك لم تجربي مقدار تلفي وخوفي على الاخوة — ماذا احدث لهم؟ هل القي القبض عليهم؟ هل جرحوا في احدى المعارك التي دارت في تلك المدة بالمدينة؟ انكار كثيرة كانت تتقاذف رأسي كل لحظة واوشك الصداع ان يمزق رأسي والالم يحرقه قلبي، ثم جاء اليوم الذي رأيت فيه اثنانه يزاولان سيرهم ولم اتوقع تلك اللحظة ارجاء هذا بيانه بل كنت اخرجها عاديانه كل منهم يأوي الى مزاره وكلهم الرجاء عاد بعد برهة وجيزة يحملان رسالة من نفس التي كانت في المكان الذي يلجأون اليه. عندما عرفت ارجاء بيانه

حقا وقفز القلب الى قلبي ووجدت نفسي اسعد مما كنت بآلاف المرات ووقفت اقرأ الرسالة الى الله عادوا المكان ثم اسرعت اجري اليه وحملت الاخبار بارجاء هذا الرسالة معرجا، في ذلك اليوم كنت كالمصلوب يحيل منه غضبه الى غضبه مرحبا بغزارة بيانا جي السعادة والاستبشار والتبسم، كنت كزائر تقابله مزاجه لتقاطع اجزى تتابع تقابل وتهنئ البلد بأعذب الانغام، كما هذا هو حالي في ذلك اليوم عندما علمت ان رسالتي احدثت مرسيلا الى اصحابها.

— ثم ماذا يا سميرة تحدثي.

— ولكنه للاسف لم يعد الاخوة ولم اجد الرد على رسالتي بل كل ما وجدته هو الاهرام السوداء تجتاحني بالعديد من الالم والرعب، لماذا لم يعودوا؟ لماذا لا يريدونه الاجابة على رسالتي؟ لماذا ولماذا؟؟ افكار شتى واسئلة كثيرة واحلام رعب كانت تتلاشى دوما لتثير في ارتياح ساعة واحدة، حتى لو جئ المكان تلقاء مرعبا اذى منه اهل الله، لا سئلة انزع بتلوينه بصاحبه الرسالة ولربما انكروا بتغيير المكان، وهذا الكبت ما كان يجعلني اكرم النفس واحقد عليها حتى انني تمنيت الموت مرارا، ايام عديدة مرت وانا على الحال اعيشه بالاوهام والآلام والمكان السوداء، وعدت افكر بطريقة للاتصال بهم مرة اخرى، هل اكتب اليهم رسالة ثانية؟ كيف اثبت لهم انني بعيدة عنهم شكوكهم وهو منهم كيف ابرهنه لهم ذلك؟

لقد كانت قصة طويلة يا دعاء سأحدثك برها فيما بعد اما الآن
فدعونا نبحث المرهم التي اتت في الرسالة.

اذن لنبحث الامر معا الآن ولنرى ماجاء في الرساله.

نعم يا عادل هل لك ان تتلو علينا ما برها.

وفضه عادل الرساله واخذ يقرأ بصوت تغلب عليه الجد
والحرص معا.

الى الناضل عادل.

لقد علمنا بكل ما قمتم به وبكل ما اصبتم من نجاح في عملياتكم
الاخيره اما الآن فاننا نتوقع ان تقوم افراد سوانا في
مدينتكم الناعله بمزيد من العمليات ونعلمكم ان القياده العليا
ترجو لكم كل نجاح في العمليه التي ستقومون بها وستكون مكانها
على طريق الخليل - بئر السبع في الموقع الذي تعرفه كنعان
ولقد راقبنا المنطقه طويلا وعلمنا ان دوريات الصهاينه
تمر به كل ليله في العاشره تقريبا ولهذا نامره على الفرقه اربع
عشر ان تحاصر المكان من كل ناحيه حتى تكون العمليه مضمونه
النتائج، هذا وبعد اتمام العمليه المذكوره وفي نفس الليله
على الفرقه اربع عشر بالاشتراك مع الفرقه ف الاتجاه
الى طريق الخليل - القدس لانه دوريه اخرى ستمر من المكان
الذي يسير راس الحيوه، واما بالنسبه لدعاء فانها ستعود
غدا صباحا الى نابلس وعليكم قبل سفرها ان تقوموا بعمليه
اخرى وانتم تعرفون وترجو لكم التوفيق.

القياده العليا

ع. ع.

— وما هو العمل الذي ستقوم به يا عادل؟

— مهلا يا دعاء، انني الآن على عجل من الامر لاقدم الاوامر للاخوه
وستقوم الاخت سميره بشرح العمليه لك والآن استودعكم الله،
وتوجه عادل نحو الطريق الذي قدم منه وبقيت واسميره في
ذلك المكان وبعد ان غاب عادل عن عيوننا اخذت سميره
تقص علي بعض الاعمال التي قامت بها.

— لقد اشتركت في ثلاث عمليات منذ تعرفي بعادل وبالاخوه
المناضلين واول تلك العمليات كانت قريبه من هذا المكان، كنت
اعرف شيئا عن الاسلحه واستعمالها عيث انني كثيرا ما عرضت
مع اخوتي للصيد وكنت اقوم باطلاقه بعض الرصاصات وتكون
الضربه التي لم اكن اصيب الهدف اطلاقا فقد عرجنا اخره الى
واد تكثر فيه الطيور ورغم انني لا اعب ايذاءها الا انني كنت
ضعيفه الى اصابه احدها دون ان يراني احد وربما كنت لا اصيب حتى
لا اصطاد نفسي يوما على قتل روح بريئه اما الآن وبعد ان
تدربت كثيرا على اتقانه استعمال السلاح اصبحت لا اعيب الهدف
ابدا كانت تلك العمليه وانا مع ثلاثه من الرفاق من بينهم عادل
قد اخذنا مواقعنا في الجبل كل وراء صخره تخفيه عن الانظار تماما،
واقتربت سيارتا الدوريه منا في الساعه العاشره والربع تطلعه
انوارها الكاشفه في كل مكان، كان قلبي يخفق وبدي تضغط
على الزناد ولم يكن يخيفني شيء بل كل ما سيطر على حواسي
عدد الذين ستقتلهم مدافعنا في هذه العمليه وما لنا الجنود
من السيارات بالرد على نيراننا الكثيفه، وعشرة قاذفه واكتمام
مع رصاصهم بعد ان اطلقوا اشارات الخطر عاليه في الجو،

وسكت الرصاص وبقينا برهة لانتحرك ثم قفزنا من مواقعنا واتجهت انا وعادل صوب الخط نلف حول الجبل وقصدنا الى مكانه كنا نخفي فيه دراجتنا عادية وركبنا عادل وركبت خلفه وسرنا على الطريق العام بعد ان اخفينا الاسلحة في مكانه كنا قد اعددناه من قبل، لم نغير طريقنا بل سرنا في نفس الطريق الذي سنقربه قرب سيارات الصحراوية وقبل ان نصل الى مكانه الحادث كانت سيارات الجيش قد وصلت، وتلقفت آذاننا اصوات الجنود الذين اتوا ليشاهدوا المكان. كان باستطاعتنا ان نسير على طريقنا آخر ولكنه صعب الاستطراد ولذا اردنا تحقيقه وهو معرفة عدد الاصابات والقتلى هو الذي جعلنا نسير على طريقهم، واخذنا نقترب منهم وما ان وصلنا حتى تظاهرنا بالجزع والحزن لكي نوهمهم اننا لا نعلم شيئا واوقفنا احد الجنود وادار وفد التحقيق.

— مفا.

— نعم

— اين كنتما.

— عند احد الاقارب. اجاب عادل

— ولماذا

— والدي مريض وكنا نقوم بزيارته.

— هويته.

فاخرج عادل هويته وقدمها اليه وبعد ان دققه نظر الى النظارتان وانت؟

— ليس لي هوية.

— ولماذا؟

— لا ادري بل كل ما اعلمه انني ذهبت الى مكتب الهويات وقد كان عدد الحضور كبيرا فطردنا احد الجنود.

— الم تذهبي مرة اخرى؟

— وهل اذهب لاطرد كالمرة السابقة؟

— يجب ان تحملي هوية والا اوقفتك هنا.

— ولماذا ارغل هنا هل تشك في؟ هل ضالته ما يوحي بأنني احتاج الى تأديب في سجونكم؟

— ربما تكونين من التربية؟

— لست ادري عما تقول.

— اعني انه من يراك الآن يعتقد انك كنت في عليه تربيته.

— وما دليلك على ذلك؟

— ليس ضالته من دليل ولكنه وجود له مع رجل غريب منتصف الليل يثير الشكوك حولكما واظنه ان الزيارة لا تستمر حتى الساعة الحادية عشرة ما لم وخصوصا الزيارة مريضة.

— الا تعتقد ان من حقي ان اثبت له ذلك وهو هذا فاسترا زيارة لوالدي وليس لشخص غريب وكذلك الرجل الذي اعتقد انه زوجي فمن المحرم على ان اكون معه؟

— وهل هذا زوجك؟

— وهل تعتقد انه هل تظنه انا عشيقاه؟

— آسف يا سيدتي لم اقصد ذلك

— اذن دعنا نسير.

— يجب ان تنتظرا نصف ساعة على الاقل.

— ولماذا كل هذا الدم؟
— ليس هذا له سبب ولكنه أوامر.
— وهل تقضي أوامركم أن يظل رجل وامرأة وأمثاله على الطريق حتى الحادية عشرة والنصف أو الثانية عشرة
— لا تغضبي هكذا. أنتم تريدون السلام ولكنه لماذا يقوم الخريون بإزعاجنا وإزعاجكم.
كان الحديث يدور والجنود على بعد خمسة عشر مترا يقومون "بإزعاجنا" بنقل الجثث من السيارات التي أصيبت وكانت عينا عادل تتنقل بيني وبين الجنود وقد نظر إلى أحدهم مرة وذلك يعني أنه قد قتل
القتلى كانت أحدهم قتيلا وبعد أن تحركت السيارة التي أقلت القتلى أمرنا الجندي بالسير فركبنا الدراجة وسرنا لا نلوي شيئا وبعد أن ابتعدنا عنهم قلت لعادل قائلا.
— ما أسمج ذلك اليهودي القذر.
— لقد كان لطيفا معنا يا عادل بخلاف الآخرين.
— لقد كان لطيفا معك أنت فقط
— من أجلي أنا؟ ولماذا؟
— لا أدري ولكنه يخيل إلي أنني لو كنت وحدي لأصبحت الآن في طريقي إلى المعتقل.
— وهل تخاف السجن يا عادل؟
— أبدا — ولماذا أخاف ولكنه يعز علي أن أدخل السجن وأحرم لذة المشاركة في العمليات التي تقوم بها وخاصة إذا كانت كبيرة العملية التي نجحت بوجوده معنا.
— أنا لم أقم إلا ببعض الواجب الذي يجب على القيام به

— بل أنت التي فتحت أمامي طريق النجاح ولذة الانتصار وأرواء الغليل بهذا العمل
— إن طريق النجاح كثيرة يا أخي فما عليك إلا أن تختار الطريق الآخر حتى للتقدم بركم.
— أجل إن السبل للنجاح كثيرة ولكنه تقوم الانتصار والتقدم بشيء آخر.
— وكيف ذلك؟
— لقد مضى عدد الإصابات فلو لم تكوني معي لما عرفت ذلك ولما شعرت بالفرحة التي أستقبل الآن.
— وماذا يهمك عدد الإصابات؟
— هذا تعريف الإصبع مدورا حولها أو ربما الليل.
— وكيف؟
— طبعا بمصيبة إلى نشرتهم الإخبارية وستكشف لديهم ومحاولة إضعاف المقاومة لديهم بأنهم هم الغالبون دائما.
— وهل تظن أنني أحمد أقوالهم؟
— لا ولكنه — إلى اللقاء يا حبيبي هاهو وصلت بيتكم فأستودعكم الله.
— إلى أين ستذهب يا عادل؟
— سأحمد بريتاني حتى نخطط لعمل آخر.
— وحتى سأراك
— لست أدري الآن ولكنه تقي بأننا دائما بخير الليل ونحن نقوم بأي عمل إلا ونكون قد أعلنا به قبل ذلك والآن أستودعك ربك.

— مع السلامه يا عادل ودعتك الله
ودخلت البيت فوجدت والدي ينتظرني على نار القلق والخوف
رغم انه كان مطمئنا الى سلامه تصرفاتي واستقبلني قائلا.
— اهلا سيده الم يحدث شئ وانت في الطريق.
— ماذا تعني؟
— ان الفدائيين هاجموا سيارتي دوريه.
— اعرف ذلك.
— وكيف؟
— لقد كنت معهم يا اني.
— وكذبت علي القد قلت لي بانك ستزور بيت صديقك.
— لم اقصد الكذب يا اني ولكني خشيت ان تمنعني عن ذلك وخاصه
انزال اول عمليه اقوم بها.
— وماذا كانت النتيجه يا بطل؟
— الم تسمع الاخبار؟
— لقد اعترف ناطقهم العسكري باصابه احد جنودهم اصابه خطيره
وليس اكثر من ذلك.
— انهم يكذبون.
— ولماذا؟
— لقد شاهدناهم ينقلون الجثث.
— انزال خاطره يا ابني ولكن كيف.
— لقد عدنا من نفس الطريق بعد تنفيذ العمليه الرائعه
وصدر امر باحداث تشويش ودوي لانزال على الطريق
لم يحن بعد

واخذت اعمل عليه كل ما احدث مدهشه لهذا العمل واجبرت انزال
خاطره، ولكني لم اذهب الى السرير الا بعد ان اقتنع تماما
انني على حق.
— وتكرار خاطره مفضلا يا سيره.
— لا ياعاء لاننا لا نريد ان تكون بيانات اذاعاتنا كاذبه
لابد ان نقوم بمثل هذه الاعمال.
— هذا ما كان بالنسبه للعمليه الاولى ولكن كيف كانت الثانيه
والثالثه؟
— اما بالنسبه للعمليه الثانيه فقد كانت في وضح النهار فقد كنت اسير
مع ابنه اخي وهو في الثانيه عشر من عمره وكنت احمل في حقيبتي قنبله
يدويه وعند سيارة من سياراتهم التي تحمل اكثر من ثلاثين رائدا
من سكان القرى القاويه اي الكبوتس، ووقفت السياره في
الشارع الرئيسي وسط المدينه كنت اشعر بعصبه الخوف
وانا اقترب منهم وما ان امسكت القنبله في يدي حتى ذهب خوفي
ونظرت اليهم نظره حقد وغضب وهم يضعون مراصيهم، احدث
الدماء تغلي في عروقي — يسرقون ارضي — يسجنون اهلي
ويقتلون اخوتي وانا اسير لاوامرهم في بلدي؟ ما بالك جميعا
مكبله بقيودهم القذره؟ وبسرعه البرق وددت انه اجي كيف؟
كانت القنبله تنتظر وسط السياره والدقائق تتطاير في كالسكاه.
وسرت دوده الخوف وبدا الناس اثر سماعهم الانفجار
يسرعون في اطلاق حواسيبهم ويركضون الى بيوتهم لا خوفا ولكنه
كي لا ينالوه هذه من احد كلاب جنودهم.
كنت لا ازال ماسكه يد ابنه اخي اسير مرحه تملأ السعاده

تلبي عنى وصلت موقف الباص وركبت عائدة الى البيت كأنه
شيئا لم يحدث.

— انه عمل رائع يا اختي —

— ان هذا لا يعد شيئا مع اعمال اخواننا الناضليين الذين
يأتون به الضفة الشرقية ناضليه ارواحهم على اكفهم معرضين
انفسهم لنار العدو الذي يعيشه في الظلمات. اما الآن
نار أليفة في جوله نقوم برحلة في هذا المكان قبل عودتنا؟

— اوافقه بشرط ان تقضي على بقية الحكاية.

— ماذا تقصدين؟

— اقصد حكايه تعريفك بهادل هل لبثت ما وعدتني به ام
تقولي ما حدث؟ انني متشوقة الى التجربة

— لم يبق من الليل الا قليلا وسأحدثك برؤيتي
وبحبه سائر شيء.

وشيئا فشيئا الاشجار واحدة تلو الاخرى وهذه المكان ولدت الحديث
الذي سيظل حيا في كل بيت في كل قريه ومدينة الى ان
تحقق النصر.

وحدثت سميره نائله.

— تلك انني كنت تلقي للاذاعه بعد تلك الرسائل التي كانت ترسل
الى الناضل يوم ركبت بيته الباص واذا بشاب ينظر الى
بيته لحظه واحده واستغربت لان كان يبتسم حينا
وتظهر عليه نظرات الحزن احيانا وكنت على وشك
التساؤل عنه كنت قد عجبت على انه اسأله لماذا ينظر الى
تلك النظرات وانت تعرفين انا نعيش في مدينة نحافظ

على السمعه والاخلاق — ماذا يريد مني هذا الرجل؟ لماذا ينظر
الي هكذا؟ هل يعرفني ولكني لا اذكر انني اعرفه وربما لم
اراه من قبل وبعد مدة نزلت من الباص ولدهشتي نزل
معي وسرت خلفي ولكنه كان يتابع الخطوات خلفي وعرفت
عندما سمعته ينادي.

— انه سميره

— نعم

— هل انت هي؟

— ماذا تريد

— اقصد هل انت انت سميره؟

— اجل انا هي. هل تعرفني؟

— نعم لقد عرفتك من رسائلك.

وخفق قلبي لذكر الرسائل ولم استطع السيطره على نفسي
التي اوشكت ان تطير فرحاً بل ظهر ذلك على وجهي
واحدث ماذا اقول واجبا ساعدني الخجل فسألت.

— وهل انت الذي قرأت رسائلي.

— اجل.

— وما تعتزل الآن؟

— كيف تسألين هذا السؤال وقد كنت الباص من اجلك.

— وهل اقتنعت برأيي؟

— كل الاقتناع.

— وما رأيك في ذلك؟

— لقد وافقنا ورضينا بالصفوف في مؤخرة المناضلين.

— ولماذا تأخرتم كل هذه المدة.
— السبب بسيط ولابد انك تفكر به.
— لست افهم شيئاً.
— بل انك تكتب كل الكلمات في رسالة تفهم كل سطر.
— وما هي النتيجة؟
— بعد ان بحثنا الموضوع من نواحيه وجدنا انه من الواجب وضع الضروري انه لا تحرك لدى الحاكمة وانه الشعور الوطني الذي يجب وحده يجب استغلاله من اجل سيادة الوطنية ومن اجل يوم التحرير القريب ان شاء الله. وقد وافقه الجميع على اقتراحه الى العمل الفدائي لانه ذلك سيفيدنا في معظم الحالات اما لكلمة لقائنا سيكون في نفس المكان وذلك كيف كي نقوم بتدريبه على خطاطنا واعمالنا.

وصلنا وصلت البيت فتابع طريقه واتجهت انا الى غرفتي وعلامات السعادة بادية على وجهي ولم استطع اخفاء الحقيقة تأسرني الى والدي الذي التقيت صديقاً لي ووجدت منه التشجيع الكافي ولهذا فأنا اشعر دائماً بالرضا والسعادة.

ووجدنا انفسنا نغيب مع الغروب بضع دقائق نتحدث بجمال المكان بروعة الشيء الذي نشرع في الاختفاء تحته من الليل العظيم الذي اخذ يمد ضياعه ليحيط بالعالم الذي اخذ يغدو ساكناً تقريباً الا من صفير الرياح الشرقية وصوت العلوز على الاشجار مغنية لحن السكون والهدوء فستقبله به ذلك العلامة الاسود العظيم.

اخذنا طريقنا الى بيت سعيد فوصلناه وهو ابتدأ بالطريقة لانه الحديث الذي تناسى كل ما سواه واجتمعت بالعائلة التي رحبت بي وكان يزيد من ابتهاجها وقضينا سهرة ممتعة بالحديث حينما وبالاستماع الى الراديو حيناً آخر، وجاد وقت النوم فنمت وسعيد في غرفة واحدة ولكنه الحديث اخذ كثيراً من وقتنا قبل ان يبزغ فجر اليوم تحدثنا عن العملية التي سنقوم بها في اليوم التالي صباحاً، فقد كان علينا ان نستيقظ مبكرين جداً لنأخذ مكاننا الذي عينه لنا. وذلك لان محور عمل السيارات الذي يحمله الجنود يستغرق العبور عن طريق بئر الحجر وعلينا ان نفاجئهم بالقاء القنابل على آخر سيارة من الموكب، ونامت الاحلام تراودنا في الغرفة الى انه استيقظنا للاحلام النوم ورواحه ولم استيقظ على صوت نقرات خفيفة على باب الحجرة. فتحت عيني ناظراً الى ساعتي يا ذا الخاصرة النحيف فأيقظت سعيد الذي كان نائماً في نوم عميق فقلت له مبتسماً.

— الا تتركني يا دعاء للاحلام يا سعيد؟
— الله! انت تعلم انه صباح يا اخي ليس صالحاً وقت للاحلام الا الليلة والساعة الخامسة والنصف.
— يا لقد تأخرت في هذا اليوم اذن.

ونهضنا مسرعين فجهزنا انفسنا وسلمنا على افراد العائلة الذين وصوني بالحذر وحملنا حقائبنا وسرنا على الطريق ولسوء الحظ مرت سيارة فركبناها وطلبنا الى السائق ان يوصلنا الى المكان الذي نريد وفعلاً وصلنا سيراً على الطريق العام وقد حالفنا الحظ ثانياً بالسيارات نادرة فتوقفنا

— مرحى ـ مرحى ـ لقد جاء الآن وقت الجد والعمل ـ

ومرت السيارات الواحدة تلو الاخرى الى ان اقتربت الاجهزة رويدا رويدا وكنا نقبضه بأيدينا على القنابل ولم ترتجف عجلة وهي تلقي قنبلتها اما انا فقد العيت القنبلة وكاد نار تكاد تلسعني وليس هذا غريبا فاول عملية اقوم بها ولهذا شعرت ببعض "الخوف" الخوف يتسرب الى قلبي، كنت اعشر انه تتفجر القنبلة في يدي قبل القائها. ولكنه الله سلم وتمت العملية بنجاح واختلطنا ببعض الذين كانوا اليه وبه الى اعمالهم عربية وقد ظهرت الدهشة على وجوههم بعدان اسرعوا الى انقاذ القنابل اما السيارة فقد توقفت عن الحركة تماما ولم تأت اي حركة بل واصلنا سيرنا وقد كاد يظهر على الارتياح الذي اخذ يغير نظام خطواتي ولكنه سيرة شجعتني قائلة.

— مالك يا دعاء هل انت خائفة؟

— ربما يا اختي انني اشعر بالتعب.

— لا لا فأنت اذا لا تصلحين لمثل هذه الاعمال فلو انه جنودهم رأوه لأدركوا انك انت التي قمت بالعملية. واذا كنت لا تجرؤين على هذه الاعمال فدعيها لغيرك.

وكأنه ما اصابني فانتفضت من ذهولي وبكلمات التي اسعى لبرهن اليقنت انه يجب علي انه اكون اشجع واقوى مما انا عليه وقررت انه اذا اهمل العمل ولكنه مراري كأنه يأبى الصمود قلبي على القوم والشجاعة واكدت لسيرة انني لا اخاف ولكنه التعب هو الذي جعلني هكذا او ربما الزمن الاول الذي نلبسه هذه

شك في انها ستكون اصعب تجربة.

وبدأت تعود قوتي الي شيئا فشيئا واخذ اعدت الى نفس القوم التي كنت استعرض واخذنا نتحدث الى انه وصلنا الى مدخل المدينة وصاله ودعت سيره وركبت الباص الذي وصل في نفس اللحظة مررت متجهة الى القدس.

هاانه تركنا مدينة الخليل الى ملجوك حتى نالنا جنود الحكيمة تملأ المكان ناد نفوا الباص ونزلنا منه جميعا وبعد تفتيش وضعه امرنا الجنود بالصعود لانه الغربة كانت محاطة بالجنود وقد مرضه عليها حظر التجول واربعنا جميعا على الصعود وقد وقع نظري على عدد كبير من الشيوخ والشباب يقفون في مكانه لا يبعد عنا "كثيرا" وكلهم رافعوا الايدي فوقه رؤوسهم وهذه هي الطريقة التي ينتقم بها الاسرائيليون من المواطنين اثر كل عملية فدائية وعرفنا انه الحكاية قد حوصر منذ ساعة بكرة منه صباح هذا اليوم وانه جنود الاحتلال قد اخذوا منه بيوتهم وقد كانوا لم يرهقوا انفسهم بعد عندما داهمتهم جنود الاحتلال، كانه يظهر على الجنود الرعب والارتباك والغضب مما وهم يهدمون ويخربون.

عدنا الباص الى الخليل بعد انه حجز الصرانية بعض المسافرين الشيوخ بهم كما يدعونه واخذت الى انه اذهب واجلب تاكرت بالصعود الى الاغنى سيرة الى المدرسة وقد ثابت السائقة على الثامنة الا ربعا شتوجهت الى منزلها وسألت منزل بعض الطالبات تاكرت احداهن باخبارها واذا بها تخرج لتستقبلني والدهشة تملأ عينيها وعادت ـ اهلا ـ ما جاء بك الى المدرسة؟ الم تأتي؟

وشرحت لها الامر فظهرت على وجهها علامات الفرح ولكنه سرعان ما تغيرت ملامحها وبدا عليها بعض الحزن فأنا

— مابك يا وداد؟
— لا شيء ولكني خائفة.
— وماذا تخشين يا اختي؟
— لست ادري ولكن قلبي يحدثني بأنه حدث له ما يحزن اليوم.
— ماذا تقصدين يا سميرة؟
— قلت لك انني لست ادري ما سر حزني ولكني اخشى ان يصيب عادل مكروه.
— لا يا اختي ان القلب يكذب احيانا
— ان قلبي لا يكذب ابدا ولكن ارجو ان تتحقق توقعاتي
— هل بدأ التدريس؟ اري الطالبات قد دخلن الى غرف الدرس
— سيبدأ التدريس في الثامنة والربع ولكني استطيع ان امكث بضع ساعة اخرى لاني لا ادرس الحصة الاولى هذا اليوم
دخلت وهما غرفة المعلمات وتحدثت على زميلاتي اللواتي رحبن بي ثم دخلت الغرفة سويعة فاصبحنا وجيزة غير ان مديرة المدرسة شاركتنا الجلسة فتحدثت كل منا بالاحرى ووجدت في الحديث الذي دار بيننا انها ترجع تنتمي الى احدى المنظمات الفدائية وعرفت ان الشعب كله رجالا ونساء ينتظره يوم التحرير والتقدم وانهم لا يريدون بالحل السلمي الذي تحمل طبوله دول العالم الكبرى فتسطر عام دول تذوب آراؤها حتى تكاد ان تكون حاملي طبول السلام.
بينما كنا نتحدث في امور مختلفة زار المدرسة رجل يقارب الاربعين وتدعى سميرة منذ دقيقة عينا فما انتهى لوزار ارتعشت

وكأنه تيار كهربائي يسري في جسدها فقالت:
— مابك يا سميرة؟
— لا شيء ولكنه هذا الرجل من اصحاب عادل.
— وماذا يريد؟
— لا ادري.
وبعد ان تحدث الرجل مع المديرة لحظة اتجه الى سميرة قائلا
— آنسة سميرة.. هل تسمحين بدقائق معي وقتك؟
— طبعا.
— اريد ان احدثك في امر هام.
— تفضل.
— افضل ان نكون منفردين.
— لا مانع من ان تحدثني بكل ما تريد فالاخبار تسرنا كل سرور.
— اذن سأحدثك واتمنى اذا كان لكلامي اثر حزين في نفسك.
— ولماذا الحزن. ان المصير واحد وانا واياك ورباه الكل
انا السجن وانا ارتياده. هل استشهد عادل؟
— لا يا اختي.
— اذن ماذا حصل له.
— لقد اسر في صدا الصباح.
— الحمد لله وهل هذا ما يؤلم او يحزن وهل السجن الا للابطال؟
— لا اشك في بطولته واعتقد انه عادل لكن تطول بينه علينا
ثم سيخرج منها.
— وهل تعتقد ذلك؟

— ولا استبعد منه لانه عادل لم يؤسر اثناء قيامه بالعمليه بل اخذوه رهينه التحقيق لانه من المشتبه فيهم فقط

— هذا يخفف الحكم انا به.

— نعم وقد انيت حسب اوامرهم للعمليه بذلك ولكني تخبري الاخت وعادت باحداث اذ لم تكد تسافر بعد.

— صاحي وعاد اسامه لتتبع الى الحديث ولو لم يرغموها على العوده لما عرفت ما حدث ولكنه القدر وتفاني طريقه سعرها حتى تطلع بنفسها على كل ما يجري.

— سؤال اخير يا آنسه سميره وهو موجه من عادل ويريد الرد عليه عندما تزوره لو جزوه من طويله.

— ما هو سؤاله يا اخي؟

— انه يسأل كيف كانت تزاول هذا الصباح وبرجوابه تكون نتائج حسنه.

— قل له انها كل شيء كما يجب وحسب الخطه ونعتقد اننا نجونا في ذلك.

— هل علمتم بالعمليه التي قام بها الفدائيون السيارة المدينه على طريق بئر الحجر.

— لا لم نعلم بتاتا.

— لقد كانت نتائجها حسنه للغايه.

— وسعد غال لله ذلك؟

— كما به احد اصدقائي صغاله وقد شاهد بعينه القتلى وثلاثة جرحى نقلوهم الجنود الى القدس شوقي الحادث احقا ما تقول؟

— تلت لله ان صديقي هو الذي نقل الينا هذا النبأ واعتقد انه لا يكذب

— اذا ارجوله انه تحدث عادل بل حتى رأيته.

— سأحدثه بذلك والا اذا استودعكم الله.

وغادر المدرسة ورغم ان سميره اظهرت شجاعة وقوة كبيره عند سماع ذلك الخبر إلا انها اعصابها لم تستطع حمل ذلك فقد اخذت تبكي بمراره وفمه نواسيها وتشجعها على تحمل هذه الازمه التي ستمر بها ايام واخيرا هدأت اعصابها وعادت الى وعيها الكامل وتحدثنا معها اخرى ولكنها لم تدع لموضوع السجن ان يتدخل حتى لا يثير احزانها وشجونها مع اخرى وعندما بدأ الدرس الثاني خرجت سميره متجهه الى غرفة الدرس ومكثت مع المدرسة بعض ساعه ثم ودعتها عندما علمت ان طريق القدس قد فتحت امام السائرين مع اخرى واوصلتني سميره الى الباب الخارجي والحديقه وقبل وجهها وسرت فإذا بسياره سائره الى القدس فسارت بها وعبر القدس اخذت سياره الى تل ابيب ثم الى يعبد ودوران يعبر منه سبيلنا احد من الجنود.

كانت الساعه تشير الى الثانيه عشره عندما وصلت القريه وتركت بالذهاب الى المدرسة مشاة ولكني تبدت عن التفكير لانه ليس امامنا إلا ساعه ونصف المدرسين ولهذا اتجهت الى البيت فوجدت امي تبكي فتقدمت وقبلت يديها ووجهها وسألتها عن جزع.

— ما بك يا امام

وكانه صوتي اعادها من العالم الذي كانت تغيب منه تقريبا

فرتعشت.

— دعاء اهلا يا حبيبتي. ماذا حدث لك؟ لماذا تأخرت الى هذه الساعة؟

— سأحدثك بكل شيء يا امام. ولكنه مؤلم لماذا تبكين.

— تسألني لماذا؟ وهل عندي اغلى منك يا دعاء اني ابكي عليك فراقك. ظننت انك لن تعودي!

— ولماذا يا امام؟

— انه غياب عني اقلقني وهزم علي اليوم وتأخرك ايقظ ظنوني. فقلت عليك؟! خشيت ان يكون قد حدث لك ما يحزنني منك يا حبيبتي.

— وهل تخامرك على دعاء يا امام؟

— دعاء يا حبيبتي وهل لي غيرك بنات حتى لا اخاف على احداهن انت لا تقدرين كم اسعدنا وجودك بيننا لقد عرفنا طعم السعادة منذ عرفتك.

— وانا كذلك يا امام يا اغلى ام في الوجود. كيف لي وانتم كل حياتي واهلي واصحابي؟ ولكن كفكفي دمعك يا امام واسمعي ما سأروي لك.

واصغت احدنر كل ما مر بي خلال اليوم الذي كنت فيه بعيدة عنهم وما زالت اذنت حتى استقرت بيد تطوقني برقة وحنان ولو ذا به اني الذي اخذ يقبلني مرحبا اياي بسلام الوصول والعودة.

— عاد الحبيب يا اني منى اقبلت اغلت هذا وتناولت يده التي احب واشتاقه.

— الم تشعري بي؟ لقد استغثت الى كل ما حدث لك.

— ولماذا لم تشعرنا بوجودك؟

— حتى لا اقطع عليه وعلك امله تلك الحلم الحالم.

— استكرك يا ابي. كيف اصبحتم؟

— حسنة للظاهر ولكني تأثرت لما حدث لعادل.

— وانا كذلك يا اني ولكنه لا بد من اجتياز الصعاب حتى نتذوق لذة النصر الذي سيزيله فجره قريبا. ولكنه هل سأرى عادل يا اني؟

— وكيف يا مزروعة ان يراك وديان بعيد

— هذا صحيح لقد كدت انسى اني لم اتدرب على الاسلحة التي وعدني بها عماد

— وماذا انت فاعلة يا هايا ابنتي؟

— تلك العملية التي تنازل صباح اليوم في الخليل. واتوكل الله لحمه يا اني انه شعب الخليل شعب بطوله وبؤسه.

— انه البطولة مزروعة في دمائهم يا دعاء فقد تأدبوا الانتداب البريطاني بصمود وبسالة ولم تنس ثوار الخليل في تلك الفترة من الزمن انزال سنبو الفؤاد والثورة.

— هل تمتم بعمليات صباح خلال اليوم الذي غبته عنكم؟

— اجل يا دعاء لقد تم احد الاشبال بالقاء قنبلة على سيارة دورية قتل منها ثلاثة وجرح اثنان. اما في الليل فقد اشتبك مرشد من الفدائية مع دوريات العدو بعملية كبيرة كانت حصيلتها ثلاثة وعشرين قتيلا اما بالنسبة للثوار فقد اصيب احدهم واستشهد احد اخوانه نقله الى مستشفى النقطة وقد قام احد ابطالنا بتغطية انسحاب اخوته الثوار ثم تظاهر بتسليم نفسه اثر حصاره

عدو من الجنود له ولكنه لم يشأ التسليم بقينا هذا الرجل نفسه مما
با الجنود الذين كانوا يقتربون منه حتى فجر الخزام الذي كان يحتفظ
به لمثل هذه الغابة فتناثرت دماؤه الزكية تروي ثرى ارضه وهو
يقول نداء وطني يهون كل شيء اني اموت الآن مرتاحا. وتطايرت
مع اشلاء الجنود الذين كانوا يلتفون حوله وهكذا مات بطلا
لا يرضى الذل ولا الاسر.

— ان كل رجالنا يا اني يتمنون ان تتاح لهم فرصة كهذه كي
يرووا تراب ارضهم بالدماء التي تنزف حقدا على الاعداء.
— اجل يا ابني والآن دعنا من الحديث ولنتناول شيئا من
الطعام الذي استقر في جوفي اليك.
— الطعام جاهز ولحظة واحدة حتى اسكبه لكم ×
— سآتي لمعاونتك يا امي.
— انت متعب يا دعاء ولا داعي لذلك
— لا استحق بالعكس بل انني استمتع براحة اكثر من اي وقت
مضى.
— لا اريد ازعاجك يا دعاء.
— ولكني اريد مساعدتك واريد ان استمتع بخدمة السيدة في البيت
— كما تشائين يا حبيبتي.

وبعد دقائق كنا نجلس الى المائدة نأكل بشهية ونتحدث
احيانا حتى انتهينا من الطعام فذهبت الى حجرتي لاستريح
قليلا من عناء السفر. خلعت ملابسي واستلقيت على
السرير نظرت نظرة وداع موضوعة على المنضدة ثم أخذتها
واذا برسالة قصيرة من عماد يقول فيها:

دعاء

اذا عدت الى البيت فانتظريني في الساعة الرابعة
في الحقل وسأكون هناك اما اذا تأخرت فلا تقلقي
لاني سأحضرها مهما كانت الظروف.

انني متلهف على سماع ما اتيت به من اخبار كما ارغب
في رؤيتك هنا نظرا للظروف التي تحرمنا من اللقاء
في المنزل وفي النهار.

عماد.

يا حبيبي يا عماد اذا كنت قد تأخرت الى رؤيتي فكيف
يكون شوقي انا من الآن وانا اجلس مكانه التفكير اعود
الى ذكرياتي معه عندما اعود الى امسيات كانت تنير
حولنا من خيوط القمر اجمل قصة للحب والاخوة من
اعود الى الامل الذي يربطني به ويشدني اليه
عماد يا امسي ويومي يا فرحياتي وقلبي اخباري
ترى لو حدث يا عماد فهل اخاف عليه؟ كيف
لا اخاف، كيف لا وانت من املك في الحياة ولكنه
لا فأنت ملك الارض التي عشت فيها انت ملك لوطنك
قبل ان تكون لي فلماذا اجزع وكما نالت حبيبة الحبيب
للابطال وانت بطل. ولكنه هل استطيع ان احتمل ذلك
ربما لو حدث يا عماد لما استطعت تحمل الصدمة او ربما
تأتيني القوة والشجاعة فأحتمل واصبر سرعان ما هذه
الافكار الحزينة التي جادت تطل علي بعد ان انزلق لادع
هذه الظنون السوداء التي فكرت فيها الذكريات فغدا

سيأتي اليوم الذي يضمني وعماد في بيت واحد نشاركه في بنائه وسيكون لنا أطفال نشعر معهم بآلام الحرمان التي مرت بنا وسيكون اسم الولد خالد، اما البنت فتسمى بهاء وتعيش حياة كلها حب وسلام. وسرعان ما أجهد الى النوم ولكنه استطاع ان ارتاح منها منذ ان سمعت الولد وغفت في جدوء على صوت الدباغ يقول بصوت ناعم عسكري باسم يتناوم الكفاح العلمي سلسلة

لم استطع سماع بقية الموضوع رغم رغبتي الشديدة في معرفته بل اجتاحني النوم ولفني باحضانه الرقيقة طائرا بي الى عالم الاحلام عندما انتبهت عيني على صوت امي لست الاحلام ولم اعد اذكر منها شيئا. ولم اذكر الا ان عماد يدعوني اليه فنهضت اركض بسرعة وقد احتوتني توباته التي قد اعدها عماد لي قبل ذهابه ثم قالت لي امي

— انني ذاهبة الى الحقل يا امي.

— ولماذا يا ابنتي؟

— هكذا تقول الاوامر.

— اوامر اوامر اصبحنا لا نسمع غير هذه الكلمة.

— اما الآن فهي اوامر جديرة بالاحترام لا سيما وانها من بطلنا الجريح عماد.

— اذا كانت هذه هي اوامره فلا بأس من تلبيتها، ولكنه من جانبه برها؟

— رسالة مع الطيور

— كيف يا دعاء لا اعلم ان الطيور تحمل رسائل.

— اما هنا الرد فقد حملت رسالة من عماد.

— واين هي؟

— انها معي.

— غريب امرك يا دعاء.

— وما الغريب في ذلك؟

— كيف وصلتك الرسالة؟

— لقد وجدتها في غرفتي.

— وهي موضوعة من عماد؟

— لا ادري ولكني وجدت الرسالة والسلام.

— فاقفلي السلام يا ابنتي واطلب الله ان يبلغني عماد تحياتي ودعواتي.

— طبعا يا امي.

وهنا تحدثت امي قائلة:

— سأذهب يا دعاء.

— الى اين ستذهب يا "محمود"؟ قالت امي

— عمل لا يأخذني غير ساعة واحدة.

— وتتركني وحدي.

— يا للطمع لن اتركك وحدك بل ان عملك يوجب عليك ان تشغلي نفسك به.

— صحيح ان العمل يأخذني بعض الوقت وعلك ان تأخذي متاع المنزل بعد ان انت يا دعاء فتهيأ ما آخذ حتى اذا رجعت ولم تجدي احدا في البيت دخلت وهو جاهز الى الانتظار.

— اشكرله يا ابي.
— حبا يا دعاء.
— امرله يا ابي.
— مع السلامه.

وعرجنا الى الطريقه نتقاطع بالحديث ووجدت نفسي وكأنني غبت عنه الفتره من طويله لكثره شوقي اليه وبي الطريقه التقينا ببعض الزارعين عائدين الى بيوتهم يحملون بعض الوآله والخضروات. واعترضنا لحمار راح كاد يقضي على نابه الغبيه وابيت لله روحي — ومررنا به نحييهم فاقبل نحيتنا بالابتسام — وسارنا على الطريقه حتى وصلنا الى الحقل فاتجهت اليه مباشره ابي سيده الى الحقل الذي يدعوه. كانت الساعه الرابعه الا عشر دقائقه ولم استغرب لعدم وجود عماد بل فسرت ذلك بأنه وعدني ان يكون ضابطي الرابع تماما. واخذت اتسلى بالتدبيه الاشجار واذا اني اعثر على رساله تحتضنها فروع شجره قرب الساقيه، فاسكت بالمرأه والدهشه تربكني فتقدمته لاراه فاذا

دعاد يا غالبتي.

لقد قلت لك في رسالتي الاخيره انني سأنتظرك هناك ولم تظني انني لن احضر، بل سأكون عندك في الموعد المحدد ولن اكذب عليك او اخلف بل كل ما في الامر انه وبعد ان تركتك ليلة الموعد فكرت في ستره بعيده عن الضوضاء والازدحام والملل ولم اجد وسيله انضل من هذه لتسليتك في وحدتك ولتشعرك بأنني دائما معك فلا تخافي ولا تقولي انني تركتك

وحيده — انه مع هذا الكلام وبهذه الرساله تتألف خيوط مع قصتنا التي نسجنا خيوطها الاولى. تذكري كم قضينا معه الساعات هناك عودي الى الامس الجميل يوم كنا معا ايام الدراسه، انزلي جميله تلك الايام وتكونه ما تقوليه ان ليس اجمل منها وانا اوافقك الرأي لو لم تغير الظروف واقعنا الجميل ولربما الوصول الى ان ما هو اجمل منها ايضا الا انه ضمن الايام التي قضيناها وقضيناها الحزن والذعر الذي تشعرين جنوده الاعداء في كل مكان. ان حياتنا جميله بالذكريات التي تكونه ارضنا فتجعل قلوبنا اوسع لوجود اكثر بالبشريه — ان الارض تتعطش اي دماء كي تشبع بل رائحة البارود والقتل، هل تعتقدين يا دعاء ان حياتنا التي مضت في اللهو واللعب اروع من هذه لا يا حبيبتي لست اوافقك على ذلك واظنه انك لا تقاسمين هذا الرأي لا لشيء ولكنه لانه رأي منحرف عاطل صادر من

دعاء آسف انه تأخرت عليك ولكني آت كما وعدتك وصرحا كانه الاسرة أمر بالحقل لاجدله في انتظاري.

عماد —

ما احلى كلماته يا عماد ما ارقه شعوره له.

— ماذا تقولين يا دعاء فاجيبه.
— عماد — عماد اصلا ليه.
— بل اصلا به انت وحده الله على سلامتك.
— لقد ابيت ولم تحدثني كما قلت في رسالتك. رسالتك
— وهل استطيع البعد عنك يا حبيبتي.

— ام يا عاد كم كنت شوقي لك كبيرا وانا بعيده عنك .
— ارجوك ان تخفف من حدة الكلمة لانني لا استطيع تحمله .
— وهل يعقل شوقي .
— ابدا ولكنه اخشى ان تفترسه هذه الهول .
— لا تقل هذا يا عاد .
— ولماذا يا عاد ؟ انه الظروف تحتم علينا البعد بعضنا
واخرى ، اما حتى اني ابتعدت عنك سترى الايام بيننا
فكيف سيكون مصيرك .
— سأحاول الصبر واسلي نفسي على البعد رغم انني لك
استطيعه .
— بل يجب ان تعودي يا عاد وانت تستطيعين ذلك .
— لا احتمل ذلك
— وانا لا اظنه ذلك مستحيلا .
— وكيف ؟
— بالعمل المتواصل ننسى البعد والغربة .
— واذا لم اجد العمل .
— ستعتاد على خلقه هذا العمل .
— والعمل هو السبيل الوحيد الى السعادة
— لا تقولي السعادة لانه لن يكون بيننا ولكنه قولي انه يغطي الهموم
ويمحونا الصبر واحتمال المصاعب حيث انه لا يدع وقتا للتفكير
شاكلنا الخاصة ما دامت امامنا المشكلة الكبرى والقضية العظمى
الا وهي تحرير الارض من براثن جاثم . ولكنه ماذا اجتاح الخليل ؟
— حسنة لو لم يحدث ما حدث هذا الصباح .

— وماذا احدث ؟
— عادل .
— ماذا اجمل له ؟
— لقد ادهلوم الحبه .
— الا لعنة الله عليهم — الكذابين . انه من اكبر رجال المقاومة
ضده .
— اعرف ذلك ولكنهم قبضوا عليه هذا الصباح .
— اذن لا بد من حمل رسالة اخرى الى مدينة الخليل .
— ومن سيحملها ؟
— ومن لنا غيره ؟
— وهل سأرسل الرساله ؟
— لم اخطط للرابعة ولكنه لا بد منه ذلك . واخيرا كيف
وجدتي ؟
— ازاء مناضلة يا عاد جديدة بكل ما فاتته وبكل ما نالت به
من اعمال ولقد قاتلت مرارا فوق ظهر الجواد وقضيت ليالي السهد
والخوف والحيرة
— ولماذا يا عاد
— سأقص عليك فيما بعد .
واخذت اسرد ما حدث وما انتهيت من حديثي حتى وجدت ام
فؤاد حيرة وحيارى لقد ادهشت عادا شأنه
— هل تستغرب ما حدث .
— ليس في حياتنا من عجب لانه اصبح لدينا في ايامنا
هذا وقد اعجبت حياتنا وليالي هذا الصيف الكئيب وتربيه

الجيران

بدأت الشمس تميل الى المغيب عندما نال تعبه

— يجب علي انا اذهب الآن وسنلتقي في ذهرم بعد العاشرة
ان شاء الله لانه العمل سيبدأ بالنسبة لك منذ هذا الليل.
— الفني تدربي على الاسلحة؟
— اجل.
— وهل هو عمل ممتع هذا؟
— ربما ولكنه عليك ان تقودي الى البيت الآن. هل امي في
المنزل؟
— لا ادري.
— صباحا يا دعاء.
واشرقت بعد وثائه بسبب سيارة الدورية التي بدأت
تظهر في اول الطريق. وعدت الى البيت مزودة بالبيرة
التي تزودها الناس لتقل ما حياة الى المنزل من الماء
والنفيت ببعض الناس والفتيات فتحدثا قليلا وسرت
مع واحدة منهن تحمل قارورة صغيرة جرعة كبيرة.
— ما رأيك في انه استطاع تحمل الجرعة.
— لابد انك تمزحين يا ست دعاء.
— لا والله. انني جادة في قولي.
— اذا كنت تريدين منه حمل الماء فعليك ان تلبسي ثوبا مثوبا
كهذا الذي البسه.
— وهل ذلك ضروري.
— نعم لانه سيراك في ثيابك هذه تحملين على رأسك جرة

لابد ان يضحك عليك.
— ولماذا يا اختي؟
— لان المقاتلات لا يحملن جرار الماء.
— وصل المقاتلات اعتقد عندهن انني ابنتي انه انقل الماء يوميا الى بيتي لانه عمل جديد بالنسبة لي.
— اذا لم يسألك احد شيئا عن هذا فكذلك هي تحمل الماء
— ولكنه ارجوان تكون الجرة اصغر من هذه.
— صاحبة مدينة بيرا تتراجع.
— ابدا ولكنه اخاف ان تزل قدمي فالجرة اذا كانت كبيرة
اما الصغيرة فتكون خفيفة الحمل فلا تتعبني وخاصة لانني
لم اتعود على ذلك.
— نعم انزل العادة يا اختي وبالتمرين يهون كل شيء
واعادتني لك كلما نزل الى حوادث الصباح عندما تصرخ
بالخوف وانا اشترك في اول عمل من ذاك يومه لم تخف
لازل اعتادت ذلك اما انا فلم اعتد هذا العمل وانه
في المرة الثانية سألكون شجاعة وانه ادع الخوف يرتاح
جرحا في وانه ادع ما حدث هذا الصباح يعود الي ولقد
صدقت هذه العروس انها دعجة حيث قالت انزل العادة
لا انزل ولا اقل سنة.

عندما وصلت البيت العيشة - لان امي كانت قد وصل اليه منذ برهة
وصرت مع اعداد صديقاته فلست معهم استمع الى الحديث الذي
يتضمن اخبار المقاومة التي تتبع تلبي ودخلت امي بعد ذلك
فاشتركت في الحديث قائلة -

— اما اليوم فقد كدت اساله الى السجن من جراء المتاعب التي حدثت اثناء الطريق

— ولماذا السجن قدتي ماذا فعل له ؟

— كنت اسير في الطريق وما اله وصلت مركب حمل ابنه عمي سعيد حتى تاجأتني مجموعة من الجنود المسلحين - كانوا مستقلين على الارصفة وليس بهم حراله

— وما ذا فعل له ؟

— عندما رأوني قد تواجهنا ثم اعترضه احدهم بسبيل تائلا

— من انت

فقلت له عبد اسمي ولكنه سألني عن اسم زوجي ولما اخبرته به

ظهر الغضب في عينيه - وقال

— اه والد عماد وهل انت ام عماد ؟

— نعم وماذا في ذالك ؟

— واين عماد ؟

— لا ادري ان عماد في الضفة الشرقية .

— ومتى رأيته آخر مره ؟

— منذ شهر طويل .

— الم يكن عماد عندكم قبل ايام .

— ومن اين له ان يزورنا

— ان عماد صنا ولا بد انك تعرفين ذالك

— اني لا اعرف عنه شيئا .

— اذن فانت لا تعرفين ان عماد من المخربين

— انا لا ادري له فقد له ، عماد من المخربين؟ لا لا انه عماد ليس

مخربا ولا اعرف عنه شيئا .

— بل انت تكذبين .

— اريد ان تفهم اننا لا نكذب ابدا ولم نتعلم الكذب .

— وهل العرب كلهم لا يكذبون .

— اذا كنت لا تصدقنا فنحن لا يهمنا ، وليس لنا ان نقنعك بصدقنا

بل يكفينا اننا نذكر له ذالك ولا يهمنا رأيك عن اقوالنا .

— سأبين لا تكذبون ، وكيف تفسرين وجود عماد في الضفة .

— لا اعلم انه في الضفة ولا اعرف له مكانا .

— بل انت في طريقك اليه الآن .

— ومن اعلمك بهذا ؟

— ليس من شأنك ان تعرف من اعلمنا :

— وما شأنك اي انت ؟ ولماذا كل هذه الاسئلة .

— اسألك لاني اشك في سلوكك .

— انه كما ترى هو فضلك فما من مكان صنع الاسئلة لتوجه الي من قبلك . بل توجه الى محاكمكم .

— لمصلحة من ؟

— اذا كما ترى يؤدي غليلك ويشفي المرض الذي يسيطر على رؤوسكم

ولا داعي لكل هذه الاسئلة .

— انه من حقي ان اعرف ماذا تريد .

— ليس من شأنك ان تعرف ما اريد .

— ولكني سأضطر على ارغامك على الاعتراف .

— وهل تظن انني اهل هذا وتتجرأ .

— ربما ليس من سبيل عليكم وقد اصبح كل واحد منكم مشكوكا في امره .

— ساكيه ايل الجنود — لاجل ماذا تتعبون انفسكم في التحقيق بل ولاجل ماذا تقاتلونه وتقتلونه؟ لاجل رؤسائكم وزعمائكم ام لاجل تلك الاوهام والدعايات التي يزرعونها في رؤوسكم.

— لست اطلب منكم الدفاع عن اخواننا وقضيتنا بل اريد معرفة ما حكيه.

— لنعرف ما اصل بنفسه.

— واصله بالصندوق الذي اصله وبين نفسه رفع الغطاء وهو يعتقد انه سيجد ثعبانا يردي فتاه في احشائي ولكنه صاح فرحا.

— طعام — لذيذ هذا اكله؟ الله يخزي حبيبه يحلي هذا الطعام.

— ولم لا تقول للساكيه الذين حرموا العمل الشريف.

— وما هم جنود الساكيه؟

— رجل فقير وله سبعة اطفال يتضورون جوعا فلا يجد ما يسد به رمقهم الا ما تقدمه له من صدقات.

— انك تكذب مع اخرى.

— قلت لك اني لا اعرف الكذب وليس لدي ان تكذب.

— نأيه انك ذاهب اذن.

— لقد سمعت واخبرتك بذلك واذا كنت لا تصدقني تعال معي حتى تتوصل معا وترى بنفسك.

— آسف كنت اظنه انه —

— انه للحزبيه كما تقول

ساكيه ايل الجندي الذي اعتنق اكاذيب حكومته والاوهام التي رسموها في رأسه. ولكنه ما لبث — ان ايل اوامر دولته وعليه ان ينفذها — تابعت السير وكنت اشعر ببعض الخوف من ان يتابعوا خطواتي فيكتشفوا ما ترتديه من ثياب ولكنهم لحسن الحظ لم يحاولوا ذلك. وما زلت سائرة حتى وصلت الهدف الذي انبعث واحدث الاضواء بكل ما حدث ورجعت اوراجي وانا احمد الله على نجاتي من ايديهم.

— ايل صاحبي ثعلا ولم يتحول للاضطهاد واخواننا ضده.

— وصل تعلة اني فاتح العقل حتى اثركهم يكتشفوه اما لنا دونه ان نفهمهم من ذلك.

— وماذا توقعت احدهم؟

— كنت قد فكرت في ان اوصل ما اعطته الى عائلة ابن عمي سعيد لو حصل وراجعوا عرفا في ولكن حمدا لله على ان شيئا من ذلك لم يحدث.

— انك يا ام عماد معه يقف عليه في اعمالنا ولدينا قصة الناشئ التي تود ان تنشرها جاد ايل بيه الشعب، فما رأيك في ذلك؟

— لا اعلم لدي هل هي كثيرة العدد؟

— ايل لا يزيد على الخمسين.

— وما محتويات تلك الناشئ؟

— ايل فداء الى الشعب ان يلزم كل بيت بتل السابع والعشرين ساعة وان المسؤولية ستقع على كل من يخالف طلبنا في هذا النداء الذي نريد به المحافظة على سلامة المواطنين.

— ايل فكره عليه سيفيد رجال المقاومة كثيرا.

— وهذا هو المقصود منه ذلك.

— سألتزم بتأدية الواجب عليه حيث وجب وساعود ايل بيتي قبل الساعة السابع الباكر ان شاء الله.

كنت استمع الى الحديث الذي هو موضوع حديث الشعبان في
كل بيت كل ليلة - ولم نشعر بمرور الوقت الى ان حانت مني
التفاتة الى الساعة المعلقة على الحائط فإذا بها تشير الى العاشرة
إلا اربعا - بعد ربع ساعة فقط سأبدأ أمعاد الصلاة بك
خرجت من الغرفة متجهة الى دهليز ومنحت الباب فوقعت عيناي
على عماد وليد الذي اسبقني إليها - كيف دخل البيت ؟ لا
ادري - ولكني وجدتها وبيد كل واحد منهما قلما واضاءة ورقة
بيضاء وعلى الخطوط والاشكال التي خرجت من انوارها لخطوطات
لجدران جديدة ، فبادرتها بالتحية فردوا معا -
- اصلاة عماد - اصلاة البطلة .
- انكما تحولاني بهذه السهرة .
- ولماذا أدناد؟ قال وليد .
- لانني لم اتم بعمل ما .
- ولكنك ستقومين به غدا كبيرة .
- ان شاء الله .
- هل انت مستعدة . قال عماد .
- كل الاستعداد .
- اذن فلنبدأ .

واصلة عماد بأصغر الاسلوب وهو مدرس لا يزيد عن كفاءة
الوليد . وبدأ شرح طريقة استعماله .
اول ما تقوم به هو ان تفتح هذا السرير الصغير وهو على شكل
مستطيل وبه ثمانية طلقات صغيرة ثم تشير صوب القطعة وبهذا
تكون على استعداد لاطلاق الرصاص

- لا لا يا عماد - لا تقلقه .
- هل انت خائفة ؟
- ربما - ولكنه دعني اجرب طريقة الوضع .

واسكت بالمدرس ، ووضعت المشط ثم صوبت القطعة الحديدية
فقال وليد .

- عظيم جدا لقد اتقنت وضعه تماما وتأكدي جيدا على ذلك
حتى زميله لجيد .
- ثم ماذا بعد ذلك ؟
- عندما تريد اطلاق الرصاص فما عليك إلا ان تضغطي على جنب
القطعة فينطلق الرصاص دون ان يصوبات .

واردف هذه العملية مرارا الى ان اتقنتها .
واخذ عماد قطعة اخرى صدئة وراح يبني على طريقة استعمالها
ومازال يشرح وانا استمع والجد الجزيء حتى مادت الساعة
الثانية عشرة اي منتصف الليل فقال عماد
- يكفي هذا القدر وعليك ان تذهبي للاستراحة وهذا الجنب هذه
العملية التي تحتاج الى جهد وتدريب متواصل
- والرصاص يا عماد ؟
- اتقصد به رصاص الخيل ؟
- اجل .
- سأتريه الى صالة يوم الخميس القادم
- ولماذا لا يكون غدا او بعد غد .
- لم تتسطيع الاصابة غدا ولا بعد غد ما دام التدريب بسيطا
وقليلا وانت تعلمين ان التغيب عن المدرسة يجعل المتأخرين

في رأيك وشكله من ارسله .

— هذا صحيح غير اني كنت انسى المدرسة والتدريس .

— بل يجب ان تذكري دائما . وهامد ابن الصيد يا دعاء وللابد من الايجاء للطلاب بالاضراب .

— وهل تستفيد من الاضراب والانقطاع عن الدراسة .

— تستفيد منه دائما احيانا . فتي مثل هذه الظروف لابد ان نظهر للرأي العام اننا غير راضيين عن الاحتلال وغير راضيين عنه رغم ان الاسرائيليون يحبونه للعالم ويوهمونه بأن الشعب هادئ وانهم لا يلاقون اي مشاكل من جراء الاحتلال .

— انه رأي صعب . وماذا علي ان افعل ؟ .

— يوجد لدينا عدد بسيط من المنشورات التي تحتوي على تحيه الى اتحاد الطلبة الفلسطيني ويجب توزيعها على الطلاب بأي شكل ولهذا اطلب منك الضروري وضعها في غرف المدرسة لتكون في متناول ايديهم وما عليك الا انه تضعي هذه المنشورات في مقاعد الطالبات ودعه انه تدعي مجال للشك ابدا

— وهل هي مقدم للتوزيع .

— اجل هذه مضافا اليه بلا

— وعلي اري ما جاد نزل .

— واسكتت بجوعه المنشورات واخذت اثرا بالها كانت تحتوي على اسطر تنادي الطلاب وتحثهم على الاضراب وقرأت بل هذه الابيات .

من الشعر الذي هي من كتابه دعاء

العبد ابن بالا الاحراري ركب استقاد معهد الاقراع

العبد لا عبد لدينا انه يكبه في تلبنا رجبا والمن جراع

في كل بيت كل يوم ساتم قد بدلوا امرا اضنا الراح

والهود دكر توفي وعاد دارنا لجولوا نغمانا بنو راح

عهدي بكم يا اخوتي لا ترجعوا صبرا ولا حتى رصاص سلاح

صبوا لنفدي الارض منا بالدما نحي الحمى بقلوبنا والراح

وما انه انتهيت من القراءة حتى صفقت

— رائع يا دعاء

— ما هو يا دعاء

— الشعر الذي ضمنت هذه المنشورات ، انه يصل الى القلوب فيلهب مثل العواطف ويشعل نيران الثورة والحقد على المحتلين وهذا هو ما تكونه النتيجة .

— اجل هذا هو سر .

وذهبت الى غرفتي لانام غير انه اليوم لم يجد الى اجفاني سبيلا وما زالت عيني العينية الى انه ابلج نور الفجر وارسلت الشمس اولى خيوطها معلنة بدء يوم جديد فنهضت من فراشي وانا اشعر بتعب الشديد ولكنه زال بعد ان غرت جسدي بالماء الساخن فشعرت بحيوية ونشاط كبيرين . ارتديت ملابسي وتناولت طعام الافطار واتجهت الى المدرسة وعيناي امي تلاحقني ولسانها يلهج بالدعوات التي كانت تساعدني فتعطيني القوة والقدرة على العمل .

وصلت المدرسة في الساعة صباحا فلم اجد من زملائي احدا هناك وقد تحققت رغبتي فتحت بوابة على مصراعيها ووزعت المنشورات كما طلب مني دعاء وتم كل ذلك في دقائق من الوقت سريعا وامتلأت ساحة المدرسة بالطالبات وحضرت المدرسات

وقد اسرع الزملاء في البيد وما ان انتهى التدريس حتى وجدت الطالبات يتفضن في مجموعات وقد اخذنه في قراءة المنشورات بحرص شديد وانتقلت أثناء ذلك أتفحص ما أخذته به

— هل قرأت المنشورات يا دلال

— نعم يا نهى

— وما رأيك يا جاد بك.

— انه رأي صادق يا دلال نهى وعلينا ان نقوم بتنفيذ ما يطلب اخواننا.

— والدراسة؟

— لا تنسى الدراسة بعد ما يرتفع صوتنا معلنين للرأي العالمي وللعالم باسره اننا لا نرضى بالاحتلال ولله لخير الدراسة. اذن انه الفرض اذا نا كفيلة بنا نا التحرير اولا ثم يأتي دور الاعمال الاخرى وصدار أي سايبا ايضا.

— وهل يعتقد سايبا ان الاضراب مفيد؟

— اجل يا دلال انه سايبا عضو في اتحاد الطلبة الفلسطيني ولابد انه قام بتوزيع المنشورات.

— كم اتمنى ان نقوم باعمال أكبر من الاضراب.

— وما ذا تريدين انه نعمله وهل تصلحين لعمل آخر غير الدراسة.

— انني ارغب في انه اشترك بالمقاومة شخصيا.

— ربما يأتي اليوم الذي تشتركين فيه مع الفدائيين في المقاومة ولكنه لنذهب الان الى تلك المجموعة هنري ما هو رأيها

وسارت الطالبتان الى المجموعة التي اشرت اليها وقد كانت نهى ودلال من الطالبات اللواتي يتفضلن التأثير على الاخريات

ما لهن من شعبية بين زميلاتهن ولما ينالنه من التقدير والاحترام من قبل الجميع. وظلت نهى ودلال يواصلان سيرهما وتنضم اليهما مجموعة اخرى فتبدين رأيهن في التشجيع على الاضراب وكان هذا هو اليوم الاول الذي تحل فيه طالبات المدرسة في وقت مبكر فكان الاضراب تعلن تصديقا لما قاله على ذلك وقد ظهرت النتيجة في اليوم التالي عندما ذهبت الى المدرسة فوجدت طالباتها وصفوف المدرسة وقد خلت كلها من الطالبات كلهن واضعات رأيهن في ذلك اما انا فلم ابد رأيا بالنسبة للاضراب وقد زار المدرسة بعض الموجهين ليعرفوا السبب الذي دعا الطالبات الى اعلان هذا الاضراب.

في نفس اليوم الذي وزعت فيه المنشورات عدت الى البيت والسعادة تملأ قلبي وحدثت امي بما جرى فقالت لي:

— لابد من ان نعمل ايضا حتى نشترك مع العالم قضيتنا وحتى ننتزع الحرية لرجال المقاومة وقد مرت اليوم بتوزيع المنشورات بعد ان غيرت ملابسي حتى لا يعرفني احد وكنت اسلم المنشورات الى بعض الاسر التي اثق بها بعض الثقة واخرى في الطريق بشكل يلفت النظر ولابد من ان المنشورات قد اخذت طريقها الى بيوت الشعب والى قلوبهم.

— وهل تظنين يا امي انهم سيلبون نداء الفدائيين.

— لا شك في ذلك فشعبنا يحب القضية ويتفهم تماما ما يحيط بها وانها قضيته وحده

مرت هذه الليلة كالليلة الماضية فانتفيت وعاد بي ذهني

وما استغربت له انه كان يحب ابنه علي وليمضه دائما ما كان يشعر في بعض الخجل والاحراج احيانا - اذ انا نفس العملية واحدة تتكرر لتوزيع المنشورات ثم ذهبت الى فراشي لانه العناء قد اثقل اليوم اتعبني جدا جدا وما ان استلقيت على الفراش حتى ذهبت في نوم عميق هادئ.

اما اليوم التالي فقد حركات وسرت بين الطالبات والطلاب لندائهم ودعوتهم الى الاضراب وعدت من المدرسة فاسترحت قليلا ثم التفت بأبي الذي كان يظهر عليه التقلق فسألته.

- مابك يا ابي.
- لا شيء يا دعاء
- بل ان بك شيئا ما اعلمه جيدا.
- انه ا - ولكني انكر في اعوالنا. هل سنبقى هكذا كقطاع الطريق او كاللصوص. في الليل تتكمش على انفسنا وتظهر في الليل - والى متى سيطول ليلنا؟
- ان الله يا بني يا ابني.
- لا يا دعاء نحن مؤسسة غامضة بأنه الفجر سيأتينا يوما ما ولكنه متى؟ هذا ما يحيرني.
- ابي - ابي - انهض الا تسمع؟
- ماذا يا دعاء
- الا تسمع
- لا اسمع شيئا آه بل اني اسمع الآن السيارة تقف امام الباب الخارجي ولكني اعتقد انها قد جاءت لزيارتنا

عند نابلس

- ولكني اعتقد غير ذلك تعال لنرى ما هناك انتظر السيارة جنود اني اسمع اصواتهم انظر يا ابي انهم جنود اسرائيل ابي ابي اني خائفة تابي احدثني يا ماذا تريد؟
- لا تخافي يا دعاء ولم تخافينه؟
- لا ادري - ولكنه - انهم يدخلون البيت وضع سيارة اخرى - ماذا يريدون - ماذا يا ابي.
- لا ادري يا ابنتي ولكنه لا تخافي

وامتلأ البيت بالجنود ووضع احدهم

- اليه وعاد عندك.
- نعم ماذا تريد.
- امتعه بليلة يا دوبرت.
- وماذا تريدون الصعبة علي.
- تستطيعين توجيه هذا السؤال صباح عند مقابلة الحاكم
- وماذا انا ذاهبة الى صباح. قال ابي.
- لا تسأل.
- اريد انه ان اعرف ماذا اجبت حتى تنال منكم الصعبة علينا.
- لا تكن كثير الاسئلة.
- اسأل عن مصير ابنتي.
- وصل بي ابنتك حتى تسأل عنك. انزل لست ابنتك.

وجاءت امي لتبكي وتسأل

- ارجوك يا سيدي انزل منها مسكينة ارجوكم انه تتركوها لي انزل لم (تفعل) شيئا.

— لن يمر البكباشي ابراهيم المرام مثله تقبل له هذه الدموع كما وانه لا يؤثر بنا بكاؤكم — انكم عرب — كلاب — في النهار سائبة وفي الليل مخربة.

— وما ذاهبت هذه الشتائم البريئة — لا بل تأخذ وصاروخا ابيض الا ذيله متخذوني مصل لا استطيع الحياة بدونك.

— لا تهتما حياتكما — والاوامر تطلب الغاء القبض عليكما انا انت مزبابا بأي وورثه يوما ما.

— هكذا الحديث يدور ولا لا ادري منه شيئا — بل وقفت بينهم لكعوب فقد عقله ندايي ما يدور حوله — لم اعامل البكباشي حتى ولا الاعتراض عندما اخذ الجندي يضع القيود في يدي ولم اشعر بالالم الذي يسببه ضغط القيد واعرف الجندي بالسيء واسأله في بشدق مخاطبا اياي حمل الجندي على تركي نا تقضوا عليه فاجابني بضع يوم بقوم حتى سألتا الرشاد من جهته عندما ضربه احدهم بالبندقية التي يحمل على رأسه وجهه ولم اتمكن الا لكمة واحدة قبل ان اغادر البيت

— مرهلا ايها الجنود سأتي معكم دون مقاومة ولكن اتركوا اخي وحذار من غضبه. وهتفت — اني اني لا انتأس من هذا مصير كتبته لنا الاقدار فلنه فاعل جيد.

وسرت معهم الى السيارة التي كانت تقف امام البيت ورفعني احدهم اليها رفقا واخي يبكيان والغريب انني كنت انظر اليهم بشجاعة وقوة ارادة لا تخرج بعض السلوان

سارت السيارة التي كنت مثل مرغمة الى طريق ثابلة حيث السجن الذي اودعت فيه المرة السابقة — سأعود اليه مرة اخرى

ولكنه ضالة مرتا كبيرا بينه وبين تلك التي المرة السابقة كنت تحمل الكباشي تاشفه هناك كنت افكر بعباد وبالمصير الذي ساصل اليه دونه ذنب جنيته — اما الآن فأنا اجلس في السيارة رافع الراس ولم يحيطني من الجنود وبالرغم من انني لم اقم بعمل يذكر بعد الا انني مطمئن غاما اي انني لم اقدم على الجريمة دونه سبب — ولكنه ماذا يخبئه لي القدر سيوجه الى هذه المرة لا بد وانه التعذيب ينتظرني الآن في الزنزانة التي اعدوها خاصة لي ولكنه لا داعي لهذه الافكار فما بدا لهم يوم احزنهم به من معتقلاتهم القاسية.

نزلت من السيارة واتجهت الى مقر الحاكم العسكري في نابلس وبدأ التحقيق في الحال — انه نفس المحقق الذي كان في المرة السابقة.

— هالت تقودنا البناء اخرى.

— اجل اعود اليكم مرة اخرى دونه ذنب جنيته فلسطينا اودي ماذا سيوجهونه الى من تهم الآن.

— مسكينة — بريئة اليس كذلك؟

— لست ادري.

— اذن نأت لتعذيبه.

— اعترف — وماذا.

— بأنه تنتمي الى مجموعات المخربين.

— لا اعرف عنهم شيئا.

— اتذكرين عندما انه جعلك اليس كذلك.

— اجل ولكنه

— لقد اعترف بأنك من المخربين.
— عاد وصل القيم القبض عليه.
— وصل تقديم انتا لا تستطيع القبض عليه.
— بل استطيع في قولك.
— انت ومتى.
— شكرا اجلك تستقبلون الضيوف
— وصل تعتقد بانا سنقوم بايداع وصل الاستيفا لك.
— لا اعتقد ذلك.
— ارجو انه تسعفني جهدا باوعاء — ماهي الاجرة التي تحصيلها على المخربين على استراكهم في الصل معهم؟
— الا تزال تؤمن بأنني افعل معهم؟
— لا اظنه انه ذلك كذبا. هل يعطونك عشرة دينار؟ لا تقولوا؟ انه هذا لا يعتبر شيئا تظير ما ستفيده لك لو تعاونت معنا
— وكم تعطيني مقابل تعاوني معكم.
— لقد بدأت تعقلين ما رأيك في خمسين دينار اي ثمانية ليرة
— هل هذا يكفي
— ابدا انه لا يكفي.
— يقولون ماذا تقترحين
— لا اعلم — انه لا يهمني ما ستقوم به من اعمال
— دينار أنا في مائة.
— وهل تظنني اوافقهم على ذلك.
— اذن فأنت تطلبين مبلغا اكبر سأعطيك مائة وعشرون على كل حال هذه نهايتي اليها.

— وفر تقولون ايها الجزائر فأنا لا اعمل مع اعداء الوطن ولو اعطيتني كل ما تملك حكومتكم من اموال.
— انت صغار انك تعيشين بدون اصل — لا تكوني غبية
— وهل تعرف اليه واحب اهلي — لقد تعلمت اني في السنة الاولى وعرفوني اني وحدا انتم تشردون شعبي منزل تعتقد اني اوافقه على الصل الذي الذي تطلبه مني.
— لا اطلب منك عملا ينافي الاخلاق.
— وهل تعرفون ما هي الاخلاق عند اليهود.
— اخرسي ايتها الفتاة فقد عاملتك باللين
— وماذا اردت اللين. وهل تظنه انني اقتنع بهذه المعاملة نا التعذيب في سجونكم القذرة اعلموه على هذا الصل الذي تطلبه مني — انك ترين ايها اعلموه شعبي انه آتيكم باخبار رجال المقاومة وشيء عملا احتياطيا شريفا فما هو الصل الاخلاقي في رأيك ايها الجزائر هل تظنه انه التي اتاجله شاه تقرير امواتكم؟ الموت جوعا وبيعه قضيته الجوعة افضل من الخيانة — لا لا لا
— وعادا اني اريد مساعدتك فقط ولو عرفت انهم الموجهة اليه لما تأخرت لحظة في المقاومة معنا وخصوصا انه اليوم هذا كثيرة مراحم منزل كفيلة بالحكم عليه مدى الحياة واسلم انه اخرجك من السجن في الحال اذا وافقت على طلبي. بوجني عنه الورقة ووقعي باسمك عليها وصنايكين، نكري بحياتك التي ستقضينها في السجن اذا اصررت على عنادك.
— لا يهمني السجن ولا يهمني التعذيب وهل تستطيعون القضاء على شعبي اذا قضيتم على فرد منه او حتى لو ملأتم سجونكم وتعتقلاتكم

بالآلاف من شعبي المتزايد الضائع الذي سيلتقوم الارض ولوطئه
وجه ستقوم لدى الجبار.
— هذا دليل على اعترافك
— واي اعتراف تقصد.
— بتلك الصلبة التي تحت يدي الخليل
— وايه عليه وسلم قال لك انني تحت يدك.
— الخابران تقول ذلك.
— لا اعترف بقولك.
— لقد تأكدنا من ذلك وليس ما نريد هو ان تدلي لنا بالاعتراف
ولكننا نريد انه تعترفي عن خطط للاعتداء وعن جرائم القتال
التي شاركت فيها في الماضي.
— لا اعرف شيئا.
— انكرته سؤاله اى الخليل.
— نعم انكر ما تقول. لأنا لم اذهب الى الخليل منذ مدة طويلة
وليس لي علم بما يدبر الاشرار.
— الافضل انك لا تنكري.
— انا لا انكر شيئا ولكنني لم اعترف بشيء.
— لقد تعبت معك كثيرة ولسوف تعترفين يوما ما.
— انا اعرف انك قادر على حبسي وتعذيبي حتى اعترف وربما
تقتلني ولكنك لن تسمع مني شيئا ولن تنال اعترافا فاعلموا
منذ حين باحتجابي الى السجن فارغاء سروريه وجهك جديد
الى مجيئكم من احضر بوجه نبيا طالما التي تدعوه فاحضروه ولم
انس لذلك ولهذا انا مشتاقة اليك.

— انت تتشوقين بنا.
— لا بل انا جاهدة في مرضاة صبرا فانتظر لهم اعترف
بشيء ولو قتلتني.
— وعاد انه اعتراف بسيط ولم يغضب احدا اذا قلته حتى تنجي
نفسك من العذاب.
— وقد قال لك انني لا احب التعذيب لقد اعتدت عليه وهو
افضل من الحقيقة، فارح نفسك لانني لا اريدك ان تتعبوا
في امر لا تجني منه الا التعب والعناء.
ورفعت سماعة الهاتف وقلت قليلا ومن انني لم افهم من
الحديث شيئا الا انني ايقنت انه يريد احد الجنود ليقوم
بنقلي الى مقر التعذيب — وفعلا بعد لحظتي فتح الباب
الساعة من بعيد حتى فتح الباب عن جندي ضخم الجثة تأدب
ليقوم الى الزنزانة التي اقدم من اجلي وسرت ايراقب
لا يؤثر فيه الخوف فقد اصبحت لا اهتم للتعذيب ولا لنتيجته
لانه افضل عندي من الحياة التي يطلبونها. وبادرني الجندي بالقول
— اذا كانت قد أدركتك الاعتراف لسيادة الجنرال فاخبرني
لتعرفي لي والا فلا اقول له شيئا.
— واذا لم اعترف بشيء.
— لن يكون ذلك في صالحك.
— وهل يهمك شأني.
— ولم لا انك فتاة طيبة واعتقد انك لا تحتملين التعذيب
— وهل التعذيب اقسى من الاعتراف بالله — اذا كنت تعتقد
انني سأعترف لك فسوف ضيا الحديث الذي لن يفيدك

والعمل ما تشاء ما أحببتني رغم سوئي وقاومتك.

— اريد ان اعرف شيئاً واحداً فقط لا يزول هذا الجمال بالتعذيب انك جميلة جداً فماذا أبقيه لك؟

— احرص ايها الجندي القذر منذ ان جئت تكونه لي جميلاً او تقتله انا شكلم ايها اليهود

وهاكه كلماتي اثارت غضبه فانهال بالسوط يجلدني به بقسوة وشراسة وتناثرت الدماء من جسدي واعتي على فاسقطني جثة هامدة الى صوابي واسكتني نهائي الحوار وتلك الكلمات — ولم اجب بل اعتدنا عهد الاكرام فعاد الى الضرب والتعذيب.

وتركني ينزف له القوى مطروحة على الارض القذرة التي غطاها دمائي بعد ان جردني من ملابسي وهاكه جسدي النحيل تناثرت الدماء من كل مكان وبعد ساعات جاءني جندي آخر ينادي الى مكتب الحاكم العسكري واعاد الاخر على مسمعي نفس الحديث فلم اجب بشيء فاشتد من ضربات الصفع وعدم الكلام ساهاكه يغيظ الحاكم وجنوده بنفس الحديث الذي لم يكن له اي اثر اوصى وناديني مع اخرى الى غرفة التعذيب.

وهناك مرت الايام بين غرفة التعذيب ومكتب الحاكم العسكري بين الصفع والحديث الذي لا جدوى منه فظهر بشكل مختلف ارسل بجنوده من جنوده فنادوا اني الى السجن والتقينا بعد غياب كنت اظنه قد طال رغم انه لا يزيد عن عشرة ايام التقيناني السجن واسام الحاكم العسكري ومعه جنوده نعانقنا

بلهفة واسى تنتابنا الدموع والعذوبة تنزف دماً الحقد على الاشراف. وبعد لحظات قال الحاكم العسكري.

— انت طليقا والدعاء.

— نعم انا والدة.

— واين عماد

— لا ادري.

— هل عاد الى الضفة الشرقية ام انه لا يزال هنا.

— لقد سبقه واخبرته اني لا اعرف.

— انت كاذبة.

— انا لا اكذب ايها الجنرال.

— هل عادت دعاء الى الخليل

— لا انها لم تغادر العزيزة.

— بل عادت الى الخليل تحمل رسالة من عماد الى الخرنوبية هنالك.

— لا اعلم ذلك.

— وهل تتركه البيت لبيلا لتنام في الخارج.

— ابدا.

— فكيف تفسر عودة دعاء الى الخليل دونه علك.

— دعاء لم تعد.

— ولكنها اعترفت بذلك.

— لا يا اني انا لم اعترف بشيء.

— اخبرني انت

— ولكنك لا تقول الحقيقة انك تريدان تواصل اني في براءة

ماكره وحذاءه وقد انكشفت كذبته الكاذبة عندما سألت عمه عاد ولابد انه تبين انك اخبرتني بأنكم قبضتم عليه.

— قلت اخرسي ولا تتحدثي. وانت عاد أيه فيما قلت.

— اذا كانت دعاء قد اعترفت بشيء فأنا لا اعرف شيئاً.

— انت اكذب من تقدر على الانكار والله يفيدك ولا ذله.

هذوه ابن الجبود.

وسألونا عما اذا كان التعذيب الى عزفه واحمد ورأيت التعذيب الذي ذاقته اني على ايديهم فاجهرته قلبي لقد اشترك اثنانه معاً في ضربه وتعذيبه وهو لا يئاوه بل ولم يقل شيئاً ما اثار غضبهم وزاد سخطهم فأخذوا يضربونه كالجائعين يريدونه اعمر ولا يستفقه وخشيت على اني فصحت

— كفى ابن الجبود سأعترف بكم سأقول كل شيء.

— دعاء لا يا ابنتي لا تقولي شيئاً.

— انهم يضربونك يا ابي.

— دعيهم فلا يدرون انه ينالوا منا ما نلاقي على ايديهم من التعذيب

— اخرسي ولا تتكلمي بل دعيها تتصرف.

— وصل تطلبونه ابنتي سأقول عند ما قلت في المرة السابقة

— اذن نامت تكذبين

عاد سكوا اني يضربونني امام اني حتى يعترف وكنت كاذبة يشجعني انه اصمدي يا ابنتي فنكل بنا بهم نزلهم ولابد لهذا التعذيب من الزوال يصل الليل وما زالوا يضربونني بهم ثم يضربونه اني من اخرى حتى اغمي على كلانا فتركونا لياتي غيرهم ...

استمر التعذيب على هذه الطريقة وكانوا يتناوبون احيانا حيث كانوا يجردوننا من ملابسنا ويربطوننا الى المناضد بالحبال ويبدأون بالضرب، كانوا يضلونه الحجارة ثم يضعون نزلي اعيادنا حتى تنتفخ بعد ان يجرده العكاز الذي يوضع عليه ليكون البيضة ليكون اعيادنا ولم يكتفوا بذلك بل اخذوا يسحبونا ظاهرنا بالاكلات وغيره صابرين على الآلام التي تنتابنا وهكذا قضينا الايام والليالي في سجن الفاشر وحاول احدهم اغتصابي بسبب اعتراضي عليه فبصق في وجهي وثار غضبي فأخذت اضربه بشراسة وكان السجان حولني الى وحش كاسر ولم أكن اعلم بالعقوبة الاضافية التي اخذت انتظرني بل لحظة واحدة وصولا يزال يقف على ابن مرتي احد المسؤولين عن السجن وانا على تلك الحالة الثائرة البائع فقادني الى مكتب الحاكم العسكري وصاح في وجهي بعض الاسئلة التي كانت آخر عهدي بالسجن

— ماذا جرى يا دعاء؟

— لا شيء.

— ودعاء كنت في سجن مع جيم.

— لا تحدثني عنه وارجوكم انه تنقلوني الى سجن آخر علة يكون ارحم من هذا

— الم اقل لك انه لم يقتل التعذيب؟

— انه انا اغضبني ليس التعذيب بل انه اشترى ابن الجزار.

وكان كلما اثرت ثورته فقال.

— ماذا تقولين يا شرف؟

— اجل انه الشرف الذي يريد حارسه ان يسلبني اياه كما سلبتم ارضي ...

ناسله لمساعدة الانف وطلب جيم فتقدم منكس الراس مرتعدا

— هل جهيز ما تقوله دفاعا يا جيم ؟

ولم يتقدم بكلمة — نادى الحاكم ثائرا

— انك برهذا العمل تسيء الى سمعة السجن الذي تقع مسؤوليته علي وحدي انك فقدت يا جيم .

— آسف يا سيدي واعتذر عما بدر مني .

— لست بحاجة الى اعتذارك بل انت بحاجة الى تأديب

خذه يا روبرت الى السجن .

وهكذا كانت عقاب ذلك الجزء اللعين جيم — وبعد ان خلت الغرفة إلا منه اخذ رؤساء السجن تتال الحاكم .

— دعاء اذا بقيت مصرا على عنادك فسأضطر الى ابعادك عن نابلس .

— ولماذا لا تبقيني في السجن تحت التعذيب .

— ربما سعودية اليه غير انه اشرهه ستكون اكبر .

— وكيف ؟

— لا اشك في انك ستضطر الى نتح .

— وهل هذا يخيفكم

— ابدا ولكنه لو اعترفت لما تأخرنا في ابعادك عنه وقتله

— شكرا يا سيدي على هذا التعهد .

— اذن هل انت مستعد للسفر لعمان فورا ؟ صيدله الى عمان بعد ثلاثة ايام .

— وهل سأقضي هذه الايام في السجن .

— لا سترحل هذه الليلة الى يعبد .

— واني ؟

— لم نستقبل شيئا في بقائك في السجن الليلة .

— اذن فسيخرجونني السجن ؟

— اجل .

— وهل ستبعدونه الى الضفة الشرقية ؟

— لا

وتذكرت في تلك كيف سأعيش في عمان وليس لي احد نزل كيف سأكون وحيدة ولكنه خير لها بكثير من البقاء في السجن افضل من بقائي في السجن ، سأعمل على الالتحاق بنتح وهذا ما نالته الحاكم العسكري وربما سأعود يوما الى نابلسية اذ ربما سأتمكن من نزل واردني ارضي بدفائي ولكنه هل كتب علي ان اخرم لذة الحياة وكيف سيعيد عماد اذا كتب لي سترن التراب ، هل تنقطع كل صلة لي به — عماد يا حبيبي متى سيجود الغد علينا بلقاء ودنا خوف — لقد كنا نلتقي والرعب يملأ قلوبنا فنراه نلتقي يوما فيخلعه الهدوء والاطمئنان حولنا ويرتسم على وجوهنا وتوثق اواصر الحب والغرام لقد متى سيكون هذا يا عماد اعتقد انه سيكون نلتقي وسرعان ما يزول الانكدار الذي ينتابني نزل الحاكم العسكري .

— وعما تبحث طالبة ؟

— لا استرجع

— بم تفكرين ؟

— وماذا اتمالك ؟

— اعتقد انه تفكر به بجانبك القاعده، كيف ستكونين
وحيده وانا افكر في نفسي انني ولكنه لو ساعتينا
ورحيت بعد اعتنا لما ابعدنا له.

— اشكرك ولكني افضل السفر الى عمان

ووقفنا على الكتاب الذي يجوب امر رحيلي الى الضفه
الشرقيه.

وهكذا عدنا الى البيت لاقضي ثلاثه ايام اخرج بعدها
منه دون رجعه ووجدتني ابكي حال رجلي من الزياره التي
اوصلتنا الى البيت. لقد ازدادت اعصابي ولم اعد اتحمل
واصله اني بيدي وقد كانت سعاجاه لدي عندما رأيتنا
فلم تصدق عينيها — كم تغيرت الحكيمه — لقد ذهبت نضارتها
وذبلت تلك الزهره واصفرت الزهره التي كانت تهب الخير
للجميع — وكيف لا تذبل وقد عاشت مشرديه مع الوحده والجوع
والحرمان —

لم استطع الوقوف لقد حاولت تحضنني وتقبلني مرحبه
بالسلامه ورحت في غيبوبه واناديه يزيد ولم اعد احتمل
والظلام يخيم على الغرفه فوجدتني في السرير وحولي
مجموعه من الشاي تبكيه ما اصابني من العذاب والمرض —
لقد احتملت عذاب السجن وما ان وصلت البيت حتى استرخت
بلحظات السياط وبالآلام تأكل جسمي وتقصمه مخلفه
كنت اود قضاء الايام الثلاثه في توديع كل نبته وكل ورده
في الحديقه ولكنه الاشياء التي تلاحقني دائما اوصدت
الابواب في وجهي وجعلتني اشرب المراره —

كنت اتوقع زياره عاده ولكنه لا — قد يستغني الى عماله بعد
الذي حدث — زارني في البيت لزيارتين فقط. رحت
الايام الثلاثه وانا اعيشه بهذه الالام والمكبات والاحزان
ندما صحوت تنتابني الآلام تأخذ الحكمه لاتام مره اخرى
واني تبكي اباء شيئا فشيئا يزيدني ندما بجدته تلك
الغلام التي كانت تشاركهم المرح والحديث.

وصلت مع الرسله الى عماله واوصلتني سياره عسكريه
الى جسر داميه ثم مشوا بي الى الضفه الشرقيه
في الوقت الذي كنت اجتاز فيه الجسر الخشبي كانت
يد تلوح لي بعيد — ولحظت انه عاده والفرح باديه
على وجهه ولكنه سرعان ما تغير عندما رأى ما انا عليه
من التغير وحاولت الركض فلم استطع ولم اقدر حتى
على السير ببطء فسقطت على الارض الخشبيه التي يجري تحتها
نهر الاردن — ولم استطع بشيء ولكنني اسلمت الروح.

فتحت عيناي فوجدتني في غرفه صغيره على ما يبدو لي
الثلج وشاه تجلس بقربي عرفت من لباسها انها ممرضه
وايقنت باستشهادتي في المستشفى وعادت الاحداث تمر
امامي فتذكرت سقوطي على الجسر ولكني لم اذكر من الذي حملني
الى صنا للاشاره ان عماد هو الذي اتى بي الى صنا
خرجت الى السرير فتعرفت الممرضه بذلك فأقبلت فوري باسمه
وهي تقول.

— الحمد لله على سلامتك يا اختي

— شكرا يا —

— مجد يا ابن القديس .
— اذن انت مثلي من فلسطين .
— اجل يا اخي وجميع الآباء من اجل فلسطين .
— اذن انت ذاهب الي مستشفى عكا .
— نعم انني في مستشفى مظلم .
— ومن اين اتى الى صنا
— ألا تعرفني
— ابدا فقد اغمي علي وانا اسوق الحجر فلم ادرك شيئا
— لقد اتى بك الى صنا البارئ عماد وبجانه .
— عماد يا حبيبي وابن هو عماد
— انه في العيادة الآن لحظ واحد واطلبه اليك .
— ارجوك ان تتركني احدثك .
— ستكون معاجاة له — تفضلي هنا هو الرهائن وسأطلب الى العيادة فقط ثم اتركك معه
— شكرا يا مجد لقد صرت على ايام طويلة لم القه فيزل بقيام مثلك .
— لقد كنت في السجن اليس كذلك
— نعم
— ولكن مجد السماء عوضت العيادة ثم اعطتني السلام وغادرت الغرفة — وادتعت يدي وانا اسلم بالسماء وقلت —

— صالو
ورد صوت من خلال المنكوبة

— صالو يا ابن امي
— المستشفى اريد البارئ عماد وبجانه
— لحظة يا آنسة ولكنك لم تقولي له .
— قل له غلام من المستشفى
— حاضر
وبعد لحظات ظهرت سيدة المنكوبة ترمق وجاوبني صوته خلال الاسلاك صارخا رنينا .
— صالو
— صالو عماد عماد الحبيب .
— من دعاد من حبيبي اصدا اصدايا حبيبي .
— اصدا عماد ولماذا الحبيب ؟
— لانني انتظر ان اسمع صوتك منذ ايام لقد تعذبت كثيرا وانت تحت وطأة المرض .
— اعتقد الآن بأنه صحتي عد تحسنت فقد هموت منذ لحظات ولا اعلم كم مر علي في هذه الغيبوبة .
— دعاد سألوه عندك بعد لحظات — اريد ان اراك يا حبيبي الى الابد .
وما هي الا لحظات حتى فتح الباب من عماد الذي سلم علي بلهفة بالغة واخذ علي يده بعنف وكأنه اول لقاء التقي به غريب العرق ولم اره وهذه اول مرة التقي به فيزل في بلد غريب ما كنت لا وقد كانت لقاءاتنا دائما في القرية بمزرعة الاصل — اما الآن فأنا بعيدة وهو بعيد — هذه الاثنانية بعيدة عن الارض التي انشأتنا عن السماء التي ظللتنا — وحيدة لا تعرف احدا غريبة في

في هذا العالم - ولكنه ما دام عماد بجانبي وما دمت بقربه فلنه نشعر بالغربة ابدا - فكانت صنع الانكسار تدور في خيالي عندما قال عماد بقوله

— وعماد يا حبيبي واخيرا زال عنك الخطر.

— وهل كنت في حالة خطرة.

— لا تتصوري حزني يا وعماد عندما رأيته تتقيأ علم الجمر - وتقلص بيده ذراعاي ودموعي تنهل وجهه - لقد شاهدت فظاعة والآلام التي كانت بادية عليه وعلى كل جزء من جسمه، شعرت بالرعشة في جسدي الذي خل وذوى وعدت بأفكاري الى ما كنت عليه بالامس من جمال وصحة وإذا اني ارى الم على النقيض، الا لعنة الله على اسرائيل وعلى جيوشهم الغاشمة ولكنه الحمد لله الذي خلصك من ايديهم واعادك الي لتعود السعادة الى قلبي -

ولكني خائفة من المستقبل يا عماد - انه العدو لا يزال يطاردنا بالمزيد من الآلام والاحزان واشعر بالخوف يملأ كل ايوالي وكأنه الاجراس -

— لا تخافي يا وعماد فالايام كفيلة بأن تنسينا الاحزان وترد الينا السعادة والفرحة

— يا حبيبي يا عماد - انت لا ترى من العالم إلا الامل والنور وكل ما انا نلت إلا شتاء لا تقتل الهموم وزودها العدو، بزاد الالم والشقاء وهكذا عرفت الحياة لكثرة ما اخبرتني،

— لم اعد لا سمع منك البكاء والآلام والعويل ولكني اريد لا شعر بالسعادة - للفرح بالبقاء، وعيني اجرع من صفاء عينيك وجهك ونقاء الحب الذي هربت منه سرور كثير، وعيني الحبيبة عن قلبي وامنع لك السعادة التي تعرفين والنا بجانبك يا اعز الناس -

— عماد يا امل - يا من كنت اكرم اخ واخلص حبيب فدتك ولا تكتئب، عدت الى يدفع قلبك بشوق الى قلبك انني سعيدة بسماع صوتك - سعيدة بوجودك الآن الى جانبي - لقد ذهبت عني الآلام واشعر بالنوم والراحة تدب في جسدي فتحول الضعف الى قوة والالم الى امل والبكاء والشقاء الى مرح وسعادة - تحدث يا عماد انني في شوق الى كلماتك -

— انت كل حبيبي يا وعماد انت كل حياتي - لولا انك معي لكانت ما حسبته تلك الايام التي قاومت بها المرض في لندن من اطيب حتى شعرت منه - ولم تعذب عندما كنت تمضيه الايام في السجن كنت اعلم بأكاذيبه في جسدي اعلم بالتعويض كلما تذكرت في العذاب الذي تلاشيه - ولكنه يا وعماد وبعد ان زال خطر السرطان عنك وبعد ان تحررت منه لكي تعودي الي تاعود الى الحياة - استنشق جيبي من الهواء عندما وتحدثه الى كل ما يدور في عماد لأراجيبك حتى بعد ان رأيته وجهي تماما سوحتا - عندما يا وعماد استخرج من كل القيود التي كانت تثقل كاهلنا، وتحرمنا لذة اللقاء.

— وماذا اعمل يا عماد - انا لا استطيع الحياة بدونك عمل وما الحبيبة هو العودة الى العمل الفدائي حتى اثأر لنا من التعذيب - حتى اثأر لكل الضحايا - حتى آخذ بثأر الشريط الذي يعيشون في المخيمات الواحية التي تحرمل سبيل التحرير القاسية.

— اجل يا عماد سنذهب معا الى القيادة وسنأخذ بثأر كل اب شهيد وكل اخ نسيبه وكل اسرة مشردة سنعود الى الارض التي ابعدونا عنها — سنعود يا عماد.

— ولماذا لا اذهب معك الآن يا عماد انه يهمني على ما يرام ولا استطيع ابدا فقد ذاك كل ما كنت احس به من آلام.

— احاف ان يعاودك المرض.

— لا يا عماد انني شفيت واحس في كل عمل ولا استطيع ان ابقى هنا بدون عمل.

وبعد ان اقتنعنا الاطباء بشفائي وافقوا على اخراجي من المستشفى واتجهت مع عماد مباشرة الى القيادة فالتقينا بأحد ضباط القيادة فعرفني عماد به قائلا.

— هذه خالد اقدم لك الآنسة دعاء احد عندنا.

— اهلا بك يا آنسة دعاء لقد كنا نتابع اخبارك وبطولتك بكل ما حدث وانني لسعيد اذ ارى انك ضابط في القيادة ناجحا ومشرفا.

— اشكرك يا هذه خالد وانا على استعداد لتقديم كل ما استطيع لشعبنا وفي كل ما تقومون به.

— لا اشك في ذلك يا آنسة دعاء كما ولا اشك في تدريبك على العمل فأنت مثال لفتاة فلسطين التي تابلت العذاب بالصبر والاحتمال وهذا عمل لله نفس شاب فخور لقيامه بهذا العمل الجليل.

— انني لم اقم بعمل استحق عليه كل هذا الثناء.

— بل لقد قمت بما هو اكبر من ذلك. لقد اشتعلت الثورة في نفوس الشباب في فلسطين المحتلة واجبت نار الحقد على المحتلين في ملجأ فتيات بيت حنينا سارعت الفتيات في الانضمام الى العمل الفدائي هذا وهذا عمل يستحق التقدير والتسجيل.

— شكرا لك يا هذه خالد

— وصل تنويه العودة الى العمل فضلا

— لقد عبرت عن رغبتي في الانضمام الى المقاومة هنا.

— ولكنه يجب ان تنتمي الى احد معسكرات التدريب للقيام بتدريبك هناك في ناحية الوتد الذي بنا سابقا.

— اذا اذهب لك لا انا اريد الذهاب الى المعسكر من الآن فصاعدا

— فأنت هنا يا عماد

— كما ترين يرضيني يا عماد اما انا فسأذهب الليلة في عملية الى الضفة الغربية.

— وفقك الله وسدد خطاك واسعدك يوم النصر.

تابعت عماد الى المعسكر رقم ٢١١ فالتقيت هناك بعدد كبير من الفتيات اللواتي يتلقين التدريب وتم تسجيل اسمي مع الحضور. عند ذلك الاخوات واتجهت الى مركز العمل فور ابعاده وودعني عماد ودموع الفرحة والالم تتناثر من عينيه.

مرت الايام وعماد لم يرجع وانا اصبر نفسي بالعمل المتواصل كما اوصاني عماد وجدت في العمل تسلية كبيرة ولكن الليل هو الذي يوقظ الاشجان والآلام فكنت اسهر الليل اناجي سكونه واهاجي حزنه وتحدثني الظنون والاوهام لغيبة عماد — لماذا لم يعد حتى استشهد في المعركة — لا لا يا الهي لا اريد ان اخسره — لا تتركني وحدي — عد يا حبيبي — عد يا نور عيني فقد عجت الايام والآلام

ارحمني — لا تدعني اعيش اذا كنت قد اخذته مني

ومر الليل طويلا — واقبل الفجر بعد طول غياب فأراحني من عناء التفكير وعدت اتسلل بالحقل والتلال ولكنه عاد الى بعد غيبة اربعة ايام يحمل الي اخبار الارض المحتلة واخبار الاهل الذين اجتمع بهم لقد حدثوا بيتنا يا دعاء — سافر الي الى الجنوب بعد رحيلك بيومين وتركوا امي وحيدة تكابد الآلام اما اني فلم يعرف مصيره بعد ولكنهم يؤكدون ابعاده عن ارض الوطن كما تعلمون — اما ما حدث لي فقد تسللنا انا وثلاثة من الاخوان الى الارض المحتلة ليلا وبعد منتصف الليل بقليل كنا نكمن لسيارة دورية في احدى بيارات البرتقال في ارجاء — وتقدمت الدورية ناحيتنا حاملة بوابل من رصاص اننا الكثيفة حتى قضينا عليها ولكنه الفرد من جنودها حاضرت المقاومة فأخذنا نضرب بعضهم ببعض وداراة حولنا طائرات الاستراك واخذ الضرب يشتد المقاومة بقنابل النابالم فأمرنا البيارة عاما وقد استشهد احد اخواننا في هذه المعركة وتحملنا جثمانه الى ان ابتعدنا عن الجنود فواريناه الثرى ثم واصلنا سيرنا الى ان اقترب الفجر فالفروع فدخلنا في كهف ضاق واختبأنا فيه وعند منتصف النهار سمعنا طائرة الهليوكبتر تحلق فوقنا الجبل الذي كنا نختبئ في احد كهوفه — استعد كل واحد منا للعمل حتى آخر قطرة من دمه — اسرعنا الى الاسلحة بعضها فلم نجد ايا منها وهكذا ادركنا انه تقادم الى انه تلقى الشهادة او ينجينا الله — اخذنا نصلي على ارواحنا ونتلو آيات من القرآن فما شعرنا الا والطائرة تبتعد ويقبع ابنائها الاسلحة تتغور الى الصخب اذا حصل هجوم مباغت — ووقفنا عندما ظننا اننا خطوات على الصخر في الخارج — خرجنا الى باب الكهف ننتظر الاستشهاد

على ارض الوطن بقلوب مؤمنة ولكنه الدهشة تعقدت السنتنا عندما وجدنا رجلا يرتجف عرفنا منه احد اصدقائنا في القضية — وظهر عليه بعض الرعب عندما تفاجأ بنا ولكنه حمد الله بعد انه عرفنا واسرع في التقدم الينا فسلمنا عليه وحيانا بالسلاح —

سألناه عن سر وجوده في هذا المكان فقال جوابا انه ادخل السجن بعد ان اشتبه به فاحد الفدائيين وحكمت عليه محاكم الاحتلال بسنوات وقد حدثنا عن صنوف التعذيب الذي لاقاه على ايدي اولئك اللئام الذين قد اردوه ثائرا —

كنت قد اخذت افكر بالهرب ولكنه كيف لم استطع الوصول الى حل في البداية واجيل افكاري فكرة اخذت تختمر في الاعماق لقد بدوت الحرس على السجن يساعدهم في كل الاعمال — كنت اقوم بتنظيف اطباقه الطعام وحمل الجنود على رؤوسي يوميا الى الغرفة الكائنة بالرأس الجنوبي للسجن الخارجي وبقيت على ذلك ثلاثة اسابيع وانا اقوم بهذه الاعمال يوميا واظهرت للجنود اني مدين لهم فكنت احدث اليهم — اقص عليهم القصص واضحكهم النكات التي احفظها والتي اختلقها عند الحاجة — وجاء الغرفة قبل يومين عندما كنت احمل الغرفة واكنس بالرأس السجن الخارجي وبقيت اعمل في هذا الحمل حتى اقتربت من الباب الخارجي ولحسن حظي لم يكن يقف بالباب اي جندي فرميت الغرفة من يدي واطلقت ساقاي للريح والتهبت بعد انه قطعت مسافة تقارب الثلاث كيلومترات الى انني لا ازال في لباس السجن — ولكنه اقتربت من بيت صغير فاتجهت اليه وسألت سكانه الاذن بتبديل ملابسي فلبيت طلبي بعد انه اسمعتهم الى قصتي واخذت مني لباس السجن

ناجرته في نفس الوقت وها انا الآن هارب من الاردن المتجه الى عمان ولا اعود الى نرتني ـ

قضينا ذلك اليوم بالحديث وقد قام علينا ان نقوم بعملية اخرى في تلك مدينة نابلس ـ ودعنا ذلك الصديق عند ما جاء الليل بعد ان اعطانا تقرير امام الجهة التي هناك ثم سرنا الى نابلس وصاد هاجمنا معسكرا للجيوش هدمنا بعضه اجزائه وقتلنا عدد امن الجنود افراده واتفقنا على ان نلتقي بعد يومين على الدرب الذي سنعود منه

وقد قمت بزيارة المرأة سرا وقضيت بها اليوما بأسره واطلعت على اخبار المنازل التي لا زلت اجرتها ثم عدنا وهذا ما اجرى ـ

لقد تأخرت كثيرا حتى شغلتني واقلقت فكري ـ

ـ الحمد لله يا حبيبي انه تقوى عزيمتك فماذا لو حصل ولم اعد ماذا سيحدث لو كنت انا الذي اصيب في المعركة ـ كيف ستقابلين ذلك الخبر

ـ لا تقل ذلك يا عماد بالله عليك لا تتحدث بمثل هذا الكلام ـ

ـ وكيف انت والتدريب الآن ـ

ـ انني واياه صديقان فما دام عماد يشاركه برده وتأليه في الصعب فلم لا اشاركه مثله ، لم لا نجعل مصيرنا واحد ـ

ـ لانه مصيرنا واحد يا حبيبتي ، لقد حدثتني اني لا أتزوج هنا ـ

ـ هل انت مجنونة يا عماد ـ كيف نتزوج في مثل هذه الظروف الم تقولي مرة انك لن تتزوج الا بعد تحقيق النصر ـ لا يا عماد لن نتزوج غريبين ـ الا يكفينا الالم الذي عشناه ـ كيف سنتزوج واهلنا هناك ـ اني في الضفة ـ وانت وحيدة هنا ـ لا اوافقه على ذلك ابدا ـ

ـ ولم اوافقه على ما قالت اني وقد حدثتها كثيرا في هذا الشأن الى ان اقتنعت لعلمي بأني لا اريد ان تفرح بزواجها كانت تحدثني بدموعها الغزيرة وتوجوني الاسراع في الزواج

ـ وانه هي الفرصة يا عماد وهي بعيدة عنا ولن تحتمل اعصابها ان يحصل هذا في غيابك ـ

ـ اري انني قد تأخرت كثيرا واعود الى القيادة لانني لم اذهب الا بل اتيت امنه مؤمري لرؤيتك ـ

ـ ولكنه حتى سأراه ـ

ـ غدا انه ستار الله الى القادر يا حبيبتي ـ

وسار تلاحقه نظراتي الى ان غاب فشعرت بالالم يخنقه تلبي ـ

مرت ايام والقادة يتذكرون يوم واجبا جاء عماد ينقل الي خبر ابعاد ابي عن الاردن المتجه ـ

ـ هل سمعت الاخبار يا عماد ؟

ـ لا اعلم هل نزل عنه جديد ؟

ـ اجل

ـ ماذا يا عماد هذه الاخبار ـ

ـ انزل لنقاتل ؟

ـ كلا يا عماد لا تخبرني ـ

ـ اني واسي بأن ابانا الى هنا لقد احدثها السلطات عند الوصول

ـ صحيح يا عماد ان الفرحة كبرى ان يجتمع شملنا ونستقبله اطال الله في الفرحة الكبرى ـ

ـ لن تكون الفرحة الكبرى الا بالنصر يا عماد وهذا ما يشغل تفكير الشعب كله

ـ ومتى سينتهي الحلم ؟

— بعد اربعة ايام وسأذهب انا في طلبه الى الاصدقاء المقربين وسنكون عودتي في نفس اليوم الذي سيغادر فيه يعبد.

— ومتى ستسافر يا عماد.

— غدا يا حبيبي

وجاء الغد وليته لم يأت - جاء يحمل الوداع وودعني وانا ابكي - عماد - اسمعتني ساثاره الحياة وانت تعيد علي - كيف ستعود ودونه اذن تراني -

— لا يا دعاء انزل اوصلهم

— تلبي يحدثني بامر مخيف.

— انك متشائمة يا دعاء لا تجعليني اشغل عليك فانا ذاهب الآن.

— مع السلامة يا عماد تلبي معك يا اغلى الاصدقاء - يا اعلى في الحياة.

- لست اعد نفسي للفراق اي واني ولفراق عماد للفراق الذي سيجعل قلوبنا الحزينة وقد كانت الشمس تميل الى المغيب وقد بدت السماء تائهة بعضها فهجين الكآبة والاحزان في نفسي وعدت اذكر حياتي الماضية - لماذا اذكرها لا ادري بل وجدتني مرغمة اعيدني حياتي كل ما حدث ودموعي تنهمر صامتة قاسية وجاءت جريدة العماد فاسرعت في اختطافها من يد احدى الاخوات ورأيتني ما رأيت -

— لا لا مستحيل -

— ماذا يا دعاء

لا اصدقه هذا الكلام عماد - لا انه لم يمت انهم كاذبون - لله يا خذوه مني - كيف يقتلوه - لقد وعدني بالعودة الي - لقد تعاهدنا على ان نكون المصير واحد كيف سيموت مني وانا امنيته من اجله - كيف - كيف يا حبيبي لماذا لا تعود يا عماد - انا لا اصدقه انك مت يا حبيبي كيف الم تعدني بالرجوع الي - كنت تقول لي لا تنشادي يا دعاء - كيف تقول لي هذا الكلام ثم لا تعود الي، لا تظلمني لا تتركني وحدي، قلت لي انك ستعود مع والدك لتعيد معا الى الزاوية - كنت تقول اننا سننتصر لنأخذ الغضب الذي تحدثت عنه لقد قتلوك يا حبيبي - سحقوا تلك الزهرة ولما تزل الحياة بعد - عماد - لماذا لم تأخذني معك - لماذا لم تنتظر حتى تموت معا الم تقل لي انه مصيرنا واحد، فكيف ستتركني لمصير غير مصيرك كيف يا عماد؟

وسقطت بالارض تحميد لمت قدمي - وعادت الآلام تنهش جسدي ولم اعد اذكر شيئا.

نقلت الى المستشفى مرة اخرى "ولم اعد ابكي" وبعد ايام من الالم عدت الى الحياة تائهة ضائعة ووجدت ابي وامي بجانبي يبكيانه فأخذت ابكي واكلم روحي واناجي بها روح عماد -

عماد يا حبيبي وانا وحدي هنا ابكي بعدك فقدت الامل في عودتك ابكي الاضياع وحيدا اختفى - ابكي قلبا كان يملأ الحياة نورا واشراقا - ابكي حرمانا منك وبعدي عنك - لماذا يا عماد - لماذا لم تودعني الوداع الاخير لماذا لم تقل لي انك راحل - وهل هكذا يذهب الاحباب ويتركونه في صمت

وبدون وداع ... لم تقل لي كلمة واحدة تساعدني على تحمل الالم
وتعطيني الصبر على الفراق ... هكذا تركتني يا مدينتي الحلوة
نسيتني وهجرتني الى العالم الآخر ... يا وجه ربي الراحل
فلماذا الا تأخذني اليك اذا كنت ترى انه الحياة الاخرى
افضل من حياتنا الحياة ولا شك انك افضل من حياتنا قلولا
ذلك لما تركتني لمصيري فيك ... انني خائفة من الحياة بدونك
العالم القاسي الذي اليتم ... رحمتني اليك يا عماد انه صوتك
ينادني ورأيي النداء فأنا لا اصغي له يا عماد انتظري
يا حبيبي انني آتية ... آتية ...

بلادي بلادي بلادي

~~فتح لوحة الكلمات~~ لام حبي وفؤادي

ايقظني صخب الشعب الوطني من الاحلام والاحلام والآلام
فأسرعت الى العيادة متسللة من باب المستشفى دون
ان يعلم بذلك احد وتناولت ارشادات فصيلة ولتقدم الاسعاف
اسعي مع الذين يسعفون جرحى العمليات القريبة
وتمرّ الايام لتهبني موتى احدّق بل احشي على درب
الثورة ... اعمل على الامل يغربني من يوم الالفاء الابدي
في ارضه الوطنية.

سميرة الغالية :

لشد ما كان شوقي شديداً ولهفتي عظيمة لاكمال هذه القصة البارعة في معانيها ، وفي تصويرها . كنت انتظر صدورها على احر من الجمر ، عامة في اليوم الأخير لأرى ماذا حصل للبطلة وعمار الذي قاسى شظف العيش ايام طفولتها ويتمرع في منزل عمها ، وما لقيته من الغربة في الايام التي عاشتها في بلجكا . واخيراً شاء القدر أن يرسل طيفه ليعطف عليها . حبيبها والدها الذي طلب منها أن تنضم الى عائلته وتكون واحدة منها ولكنه وجود لا يحنو عليها بشيء ، لم تكن تجد عنده عطفاً ولا حناناً . فوافقت بعد لأي . وهذا ما يدفع القارئ الى معرفة ما بعد ، بشوق .

وقد اعجبني برودة المرحوم بوجوده لدى عمار ودعاء ، وغلظة بعض المواقف . مثل عندما يبارك الاثنان خطبة ابنتهما للآخر في يوم نجاح عمار .

انه ابن الأرض التي عاشت في كنف السيد محمود والد عمار كان بالنسبة لها ايام الصغار وكعادة ، ولم ينقص عليها سوى فرقة عمار وسفره لاكمال تعليمه . ثم بأمر من الحبيب ، ولكنه سرعان ما زال هذا . وعادت الايام الحلوة .

عاد عمار البك . لكنه عاد مرحوماً قد تحول الى نوع آخر . وهي كذلك . ودون أن تدري . ولدى مصارحة عمار لها كرهت ذلك أنه يكون ، عوناً على المضي . وهذا يدلنا على عظيم وفائها . وكبرها في السر ، وأذعنت لطلب ابن عمها بحيث على اعلان الخطبة امام الجميع

وهنا بدأت الأقدار تعاكسها . فظهر ما يسيء عمار وابنة عمها ، وكان المرحوم عمها الى منزل عمار وتزوجها ابنه . وهذا ما يجعل القارئ يتابع القصة باهتمام أكثر ليرى ماذا يحدث . فكانت جزعة لظهورها في حياتها وفي هذا الوقت بالذات مؤثراً في نفس القارئ لما جلبت لها من متاعب وما ذاقته بعد ذلك تغير شعور ابنة عمها بعد أن سلم منه هو فقط يزيد الطين بلة أو أضاع أما المتاعب فقد اطمأنت فيها حب الوطن والدفاع عنه كل شيء فيه وفداؤه برودة

بسم الله الرحمن الرحيم

لم أكن أتوقع أن تُحدث أحداث (رعاد) لتلك الدرجة الكبيرة ، بالكاد قد نسيت نفسي مع أحداثها ولم أعد أشعر بمرور الساعات أو بأي شيء حولي ... تجردت من كل ما أحيا به لأعيش فقط مع رعاد بقلبي وعقلي وكل مشاعري ...

في البداية شعرت بأحداث روتينية ؛ فتاة متلعثمة ، ملجأ ، أطفاله ومدرسة .. وكنت أقرأ بتثاقل ، ولكنه ومع أن بدأت الأحداث تتركب في قالبها وتتجلى رويدًا رويدًا عرفت الأحداث حتى أصبحت غير قادرة على ترك المهمة قبل الوصول إلى آخر كلمة بها ...

رغم قوة قدر رعاد ، رغم المها وتوسرها تحنيت بلا وبكل الصدق شعرت وكأني غير نفسي .. وشعرت كأني رعاد وهدت نفسي تفرح لموقف الحب والابتسامة ساعة دخول رعاد بيت الحاج محمود وتخيلت البيت عامًا وصغيرًا وداقعًا المعيشة .. ولكنه أشعر واضح بوضع أي كلمة أو تعرف عليه الأدب أو الأدب أو تحمار وأشعر تفاعل بكتابتي بقلبي ومع رفرفة ورفرفة ..

ما شعرت به بالضبط إلى شدة فتح للتحرير فلسطين لتشفي غليلها وتثأر لأبيها وعمها وقومها ضحية الغدر والخيانة .

فتحنين ساعتين لو كنت في نفس موقف ليكوه في خرق الرفاع والمقاومة .

كان يودي يا كاتبتنا الفاضلة - لو أنه وليد ابنه عمري كان دور أجول خصوصًا بعد ما أصبح في عمرها للاتصال بهي .

كذلك لو أنك عطفت عليه مرة أخرى عند النزع ، كما كانت توليبة عطفت عليه وقت لآخر لأنه قصة حياته كانت في الجملة قصة مؤثرة - خرجت للتي أجازا أعجبت بقلم القصة واحدة - وأسلوب رشيق بعض الشيء كذلك أسلوب التهكم الذي كان يظهر من حين لآخر .

أذوركم كل شهر مرة - أو كل ستة مرة - ليس عندي وقت أقضيه لو أنه بلغ عندنا حياتي " قول دعاء للجزيرة أو كذا " وهكذا ...

كذلك لو وصف كان جديدًا رائعًا - وصف مدينة الخليل - وصف صورة الغروب في الجو - وصف ثائرة الأعداد بالقراب - وصف الغربة - وصف روح الأخوة بين رعاد وبين نقاله كسميرة وعادل إلى كل الوصف الذي بالقصة

فلا ليعني يا أختي بعد أن قرأت وقصتك بتمعن ولطف إلا أنه أقدم لك جزيل شكري واحتراني - ودعواتي إلى الله أن يوفقك إلى كتابة أعز - لتكون بنبوغًا يتزيل به القراء بصورة أوسع ،

وأطلب من الله العلي القدير أن يوفقك إلى كتابة قصة أخرى تكون شرح يتزع الخلاص النزعي لتحقيق به الفلسطيني الاستشهادي ضد الاحتلال البغيض تكون شرح يتزع البطلة مقرحة - فرحة لتحرير وطنها والأخرى لفاجعة بأحبائها والعيش بسلام

وفقك الله لتحقيق أهدافك

أختك المخلصة : سعاد القواسمي

٢٠٠٧/٤/٦

حبيبي :-

* بدونك الفصول تأخذ عطلتها
بدونك العالم في سفر *

بدونك لا أشتهي ولا أهوى
ابدًا ، ولا أهتم لأمر

بدونك كل الأمور تفاهة
فلا حلو غدا ولا مر

بدونك ما انا؟ لو تدري
كطائر تائه بلا وكر

بدونك حبيبي انا أحيا
عيشًا وعنوانه القبر ...

٩٢/٦/٢٢
١٠:٢٠ مساءً
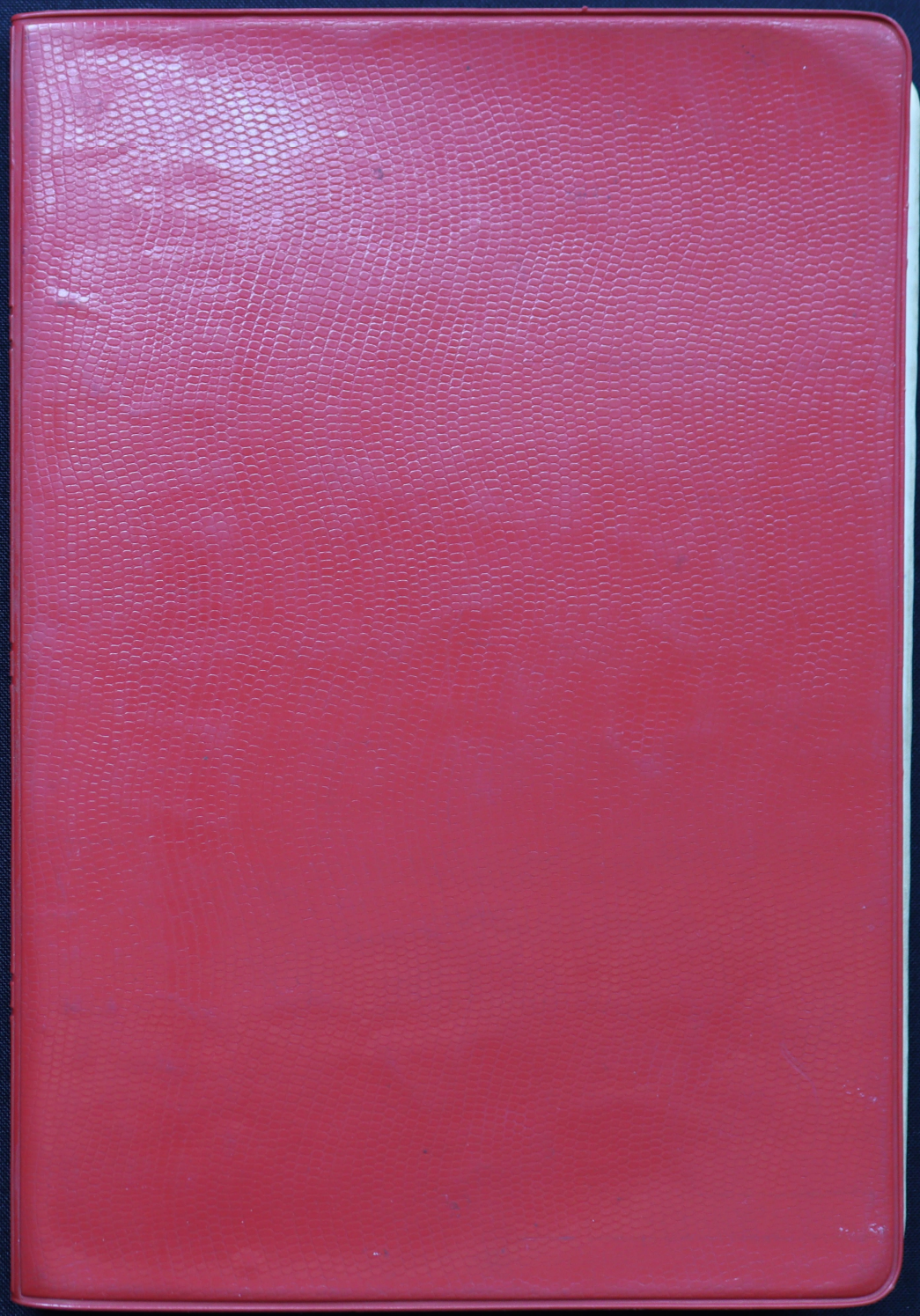
خولة سرحان